مجلة الشهاب • المجلد: 11، العدد: 3 (2025م) • ص ص 09 – 40
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

الاتجاه اللُّغوي في دراسة القرآن الكريم
ـ دراسة تحليليّة وصفيّة لنماذج مختارة ـ

The Linguistic orientation to the Study of the Holy Qur'an

-An Analytical and Descriptive Study of Selected Samples-

محمد سيف الإسلام بوفلاقة*
مخبر الشعريات وتحليل الخطاب
جامعة عنابة (الجزائر)
mohamed.saif.al.islam.boufalaka@univ.annaba.dz

تاريخ الاستلام: 31. 07. 2025	تاريخ القبول: 01. 09. 2025	تاريخ النشر: 15. 11. 2025

****

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى تقديم دراسة وصفيّة تحليليّة في نماذج مختارة من الدراسات العربية الحديثة التي ركزت على الجوانب اللغوية في القرآن الكريم، واتسمت بالعمق، وتبدو العلاقة بين النحو والبلاغة متداخلة ووشيجة، ولاسيما عند التطرق إلى قضايا النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، ومن أبرز العلماء القدامى الذين جمعوا بين التطبيقات والتنظيرات البلاغيّة والنحويّة معاً ببراعة كبيرة، العلاّمة (عبد القاهر الجرجاني) في كتابه: «دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة»، والعلاّمة (محمود بن عمر الزمخشري) في كتابه: «الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعُيون الأقاويل في وجوه التّأويل».

الكلمات المفتاحية: اتجاه؛ دراسة؛ لغة؛ وصف؛ تحليل.

Abstract:

This research paper sought to present a descriptive analytical study of a selected samples from a deep modern Arabic studies that focused on linguistic features in the holy Quran. Where the relation between grammar and rhetoric seems intertwined especially when tackling issues concerning grammar and rhetoric at the miraculous aspects of the Quran. Among the most prominent ancient scholars who combined rhetorical and grammatical applications and theories skilfully is the scholar Abdul Qaher al-Jurjani in his books "Dala'il al-I'jaz" (The Signs of the Miracle) and "Asrar al-Balagha" (The Secrets of Rhetoric), and the scholar Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari in his book "Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujoh al-Ta'wil".

Keywords: Orientation; study; language; description; analysis .

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

يعتقد العديد من علماء اللُّغة العربية، ومن بينهم: العلاّمة (عبد الملك مرتاض) أنّ العلاقة بين النحو والبلاغة تنهض على نقيضين اثنين: فهذه العلاقة تكون إيجابيّة حين تكتمل دلالة الجملة، ويصحّ معناها، وتستوفي الشروط النحويّة في تركيبها؛ فيتضافر حينئذ العلمان من هذا الوجه لتحليل الكلام، دون أن يتعارضا أو يتناقضا؛ بيد أنه قد يقع الخلاف بينهما، حين يتساهل النحو في إعراب الكلام ولو كان فاسداً، من الوجهة الدلاليّة، فيعُدّه صحيحاً، وتتشدّد البلاغة فتراها لا تزيح من سبيلها الكلام الفاسد فحسب، ولكن الكلام الرّكيك الضعيف الصياغة أيضاً، وتُشير معظم المعاجم الأدبية واللغوية إلى أن البلاغة في شقها التقليدي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع فصاحة مُفرداته ومُركباته، وسلامتها من تنافر الحروف، وغرابة الاستعمال، والكراهة في السمع، حيث إنها تقتضي وجود قدر معين من التفكير في المعاني الصادقة والقيّمة والقوية المبتكرة التي تتسم بحسن التنسيق والترتيب، مع توخي الدقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته، ومراعاة حال من يُكتب لهم، أو يُلقى إليهم[1]؛ إن مصطلح(البلاغة) يُحيلنا على تعريفات متنوعة، فهي في اللُّغة الوصول والانتهاء، يُقال: بلغ فلانٌ مراده: إذا وصل إليه، وأمر بالغٌ، أي جيد. ومن هنا كانت البلاغة في معنى جودة الكلام، ومطابقته لمقتضى حال الكلام. وبلاغة المتكلم: ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ مع فصاحة في مفرداته وتراكيبه، دون غرابة في اللفظ، أو كراهة في السمع، فكل بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً؛ فالفصاحة غير البلاغة، وقد غدت البلاغة علماً، على أساس بلاغة القرآن الكريم، ثم كان لبعض الكتاب أثر في البلاغة...، وأخذت الدراسات العربية تتميّز، وتم الوصول إلى أن علم البلاغة ثلاثة فروع هي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وأنزل بعض النقاد الدراسات البلاغية بحسب مفهوم الفروع الثلاثة في أمكنتها، وجعلوا علم المعاني يبحث في أنواع الجمل المختلفة واستعمالها، وجعلوا الثاني يُعلِّم الإنسان صناعة الكلام الفصيح من غير إبهام ومباحثه: التشبيه، والاستعارة، والكناية. وأدرجوا في الثالث بحوث محسنات الكلام، ويتناول عدداً كثيراً من صور القول كالإطناب والقلب والاستخدام...»[2]، كما يُقصد بالبلاغة في بعض الكتابات المعاصرة المتأثرة بالمناهج الغربية البلاغة التطبيقية في خطاب الشرح الأدبي، وباقترانها(البلاغة) بتحليل الخطاب، فهي تنقسم في النقد الغربي إلى خطابين خطاب موصوف يدل على موضوع الخطاب، وخطاب واصف يتصل بوظيفة البلاغة من حيث هي نشاط يهتم بوصف الخطابات وتحليلها، وإظهار كيفية تأثيرها بناءً على آليات نظرية مختلفة باختلاف النظريات النقدية القديمة منها والحديثة. وقد أكد أحد البلاغيين المحدثين، وهو (كبدي فاركا)، في هذا السياق أن البلاغة-بحسب تعريف أولي حذر-هي مجموعة من التقنيات التي تسمح بوصف عملية إنتاج الخطابات والنصوص، وإعادة بنائها، وبذلك تظل في تصوره إلى

(1) مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: 79.

(2) محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ج: 01، ص: 192.

حد ما الأداة الجيدة التي تسعفنا في وصف الكيفية التي ينبني بها النص، ويبدو أن اعتبار البلاغة منهجاً لوصف الخطابات المختلفة وتحليلها، يرجع-حسب (هنريش بليث) -إلى سببين اثنين: أولهما: تاريخي، يتعلق بإنتاج النصوص حسب قواعد بلاغية، ويكون استعمال تلك القواعد مناسباً لكشف تنظيم النصوص. ثانيهما: منهجي، يرتبط بما أبدته البلاغة من مرونة خلال تاريخها الطويل في التطبيق على النصوص الجديدة، وبذلك لم تعد البلاغة في تصوره تهتم بإنتاج الخطابات، كما هو الشأن في القديم؛ بل أصبحت تختص بتحليل الخطابات المختلفة، ووصف آليات اشتغالها[1]، وقد اتجهت الدراسات العربية الحديثة إلى العناية بالتأسيس لنظرية للبلاغة، والكشف عن حقيقة البلاغة، إذ يدور اليوم جدل كبير بين المعنيين بالدراسات العربية من أساتذة وأدباء ونقاد ولغويين حول علم البلاغة وغايته، والفائدة منه، ومدى ملاءمته لمقتضيات الدراسة العصرية، والسبب في ذلك يعود إلى القوالب التي صب فيها هذا العلم والأشكال التي اتخذتها قواعده، والصور التي وصل بها إلينا...، وقد خيّل لبعض الدارسين أن المعارف النظرية هي غاية بذاتها، فأصاب علم البلاغة بعض التحجر والجمود[2]، وانفصل على النصوص الأدبية الجميلة التي هي ميدانه، وحقل تطبيقه، وعن الذوق الأدبي السليم.

2. الاتجاه اللغوي في دراسة القرآن الكريم-مُعالجة تحليليّة لدراسات مُختارة-

حين عزمتُ على إعداد هذا البحث، انصرفتُ إلى الانكباب على مجموعة من الدراسات والكتب والمراجع التي أحتاجها وأستعين بها، حيث أجريت مجموعة الأبحاث العربية المتميّزة التي تتصل بالقضايا النحوية والبلاغية في القرآن الكريم، وتستحق المعالجة والتحليل والمدارسة، ومن أبرز الدراسات التي لفتت انتباهي:

1.2. همزة الاستفهام في القرآن الكريم، للدكتور عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي:

إن هذا الكتاب يعد واحداً من أهم الكتب التي درست همزات الاستفهام في القرآن الكريم دراسة تطبيق واستقراء واستقصاء وشمول، وكما وصفه مؤلفه العلاّمة (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي)، فإنه يدرس كل همزة على انفراد ضمن الآية التي وردت فيها دراسة بلاغية، كما أنه لا يكتفي بعرض الآية التي وردت فيها همزة الاستفهام؛ بل يعرض معها الآيات التي تتصل بها في المعنى لتتم الرؤيا وتتضح الصورة، كما يشرح الآيات التي وردت فيها همزات الاستفهام والآيات التي تتصل بها شرحاً أدبياً يتضمن المعاني التي تنص عليها الآيات ومعاني أخرى توحي بها، ويتطلبها السياق والمقام، ويشرح المعاني البلاغية لهمزات الاستفهام ويخرجها من أكمامها الاصطلاحية؛ فيُبين معنى الإنكار وما المراد بالتقرير، ومم كان التعجب والتعجيب، وعلام كان التوبيخ والتقريع، ومم كانت السخرية والاستهزاء، وهكذا بقية المعاني، كما يُعرب الدكتور (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي) الكلمات التي وردت في صيغ الاستفهام؛ حيث يكون

(1(عبد القادر بقشي: البلاغة التطبيقية: التحليل البلاغي للنص الشعري في خطاب الشرح الأدبي، ص: 25.

(2(أحمد أبو حاقة: البلاغة والتحليل الأدبي، ص: 11.

الإعراب مساعداً على فهم المعنى؛ فالإعراب تحليل للكلمات وبيان لموقع كل كلمة من أختها وعلاقتها بها، ولاشك أن ذلك يُعطيك عمقاً في الفهم، ودقة في الإدراك، وقد اعتمد المؤلف على كتب المفسرين التي أشار إليها بدقة في الهوامش، وفي لائحة المصادر والمراجع، وقد اعتمد عليها في شرح الآيات وفي بيان المعاني البلاغية لهمزات الاستفهام. يقول الباحث الدكتور (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي)، في مقدمة الكتاب: « وإذا كان المؤلفون قديماً وحديثاً قد درجوا أن يذكروا في مقدمات كتبهم الأسباب الداعية إلى تأليف تلك الكتب ونشرها على الناس، فإن الحديث عن كتاب الله تعالى وبيان شيء من خصائص أساليبه ومزايا آياته واجب على كل من استطاع إليه سبيلاً، ولقد جاء الاستفهام في القرآن الكريم أسلوباً ممتازاً في كثرة وروده ووفرة استعماله ودواعيه وتنوُّع معانيه ومراميه؛ فقد ورد في حوالي ألف ومائتين وستين موضعاً، وإذا كانت آيات القرآن الكريم قد بلغت حوالي ستة آلاف ومائتين وستين موضعاً، وعلى خلاف بين العلماء في هذا العدد، تبيّن لك مبلغ هذه الكثرة ومدى انتشار الاستفهام في كتاب الله العظيم، وهذه الكثرة في استعمال أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم تدل على قوة هذا الأسلوب ومبلغ تأثيره ووفرة مقتضياته ودواعيه...»[1]، ويؤكد الباحث(عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي) على أن مما يشهد لتلك القوة وذلك التأثير ووفرة تلك الدواعي والمُقتضيات أن القصائد التي تتضمن السؤال والحوار من أمتع القصائد، وأن الأدب المسرحي الذي ينهض على الأسئلة والحوار من أروع أنواع الأدب، وأن طريقة الحوار في التدريس التي تعتمد على الأسئلة من أنجع طرائق التربية والتعليم، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن معنى «الحوار»، بالمفهوم الجاري به المعنى المتداوَل في المصطلحات العربيّة المعاصرة، من قولهم في اللّغة العربيّة في العهود الأولى: حاور(حاوره) مُحاورة، جاوبه وجادله، والمحاورة: المجاوبة، أو مراجعة النّطق والكلام في المخاطبة. والتّحاور: التّجاوب. لذلك كان لا بدّ في الحوار من وجود متكلّم ومخاطب، ولا بدّ فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته. وغاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم، لا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة، وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني، وإثراء للمفاهيم؛ مما يُفضي إلى تقدّم الفكر، وإذا كان الحوار تجاوبًا بين الأضداد، كالمجرّد والمشخّص، والمعقول والمحسوس، والحُبّ والواجب، سميّ جدالاً[2]، والحوار كما ورد في جلّ المعاجم العربيّة هوّ: مراجعة الكلام، حيث جاء في«أساس البلاغة»: حاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحوار[3]، وجاء في التّهذيب للأزهري عن أنّ المحاورة مراجعة الكلام في المخاطبة تقول حاورته في المنطق وأحرت له جواباً وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة الحوير تقول:

(1(عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص: 07.

(2(ابن منظور: لسان العرب، المجلد الرابع، ص: 264.

(3(الزمخشري: أساسُ البلاغة، ص: 146، والرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، حققه وعلق عليه: مصطفى بن العدوي، ص: 185، وإبراهيم (محمّد إسماعيل): معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص: 150.

سمعت حويرهما وحوارهما[1]، فالحوار في اللّغة هو حديث يجري بين شخصين أو أكثر، وتحاور القوم تراجعوا بينهم وتجادلوا، والحاصل من هذا التّعريف اللّغوي أنّ من شروط الحوار توفّر المُحاوِر والمُحاوَر على الأقل، ويجري بينهما كلام حول موضوع ما، أو مسألة ذات طابع إشكالي بغاية العبور بهما من رأي إلى آخر أو من وضع جدالي إلى ما هو أفضل منه...

أما اصطلاحاً، فالحوار يعني احترام الآخر فيما هو عليه وما يريد أن يكون على حدّ عبارة موريس بورمانس، وهو قبل كلّ شيء ضدّ الصّدامات سواء كانت لفظيّة أو اتّخذت أيّ شكل من الأشكال العدائيّة الفعليّة، وهوّ محادثة بين شخصين فأكثر حول موضوع محدّد اختلفت حوله الآراء بهدف الوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها بعيداً عن التّعصب وحبّ الغلبة مع توفر الرّغبة في قبول الحقيقة، وإن كانت مع الآخر. إنّ المبدأ الحواري مبدأ بنى عليه الإسلام منذ خمسة عشر قرناً حضارته وكيانه وفلسفته الإنسانيّة، فهوّ مفهوم أصيل في الإسلام، وهو سنّة كونيّة، تعتمد على تغيير المواقف واختلاف الحالات التي تعتري الإنسان في التفكير العقلي وكافة السلوكات النفسية الأخرى، وقد رسّخ الإسلام مبدأ الاختلاف الذي هو أصل كل حوار والدّاعي إليه في الوقت ذاته، قال تعالى ﴿ومَا كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاختَلفُوا﴾ (يونس: 19)، وهكذا فالكونيّة الواحدة في الآية تعلّل بكونها عامّة، يشترك النّاس كلّهم فيها، باعتبارهم أمّة واحدة أي مجتمعاً بشرياً واحداً متشابهاً من حيث خصوصياته الخلقيّة التي جبل عليها من حيث النّوع البشري الذي ينتمي إليه، في حين أن الاختلاف المشار إليه في الآية، يدل على حصول شروخ عميقة أو طفيفة في تلك الكونيّة الواحدة، فتحوّلت من الوحدة العامة إلى التعدّد الخاص، ولعل مبدأ الخلاف في الإسلام هو رهين بمبدأ الاختلاف، وكلاهما يكمّل الآخر في فلسفة الغيريّة والتّباين، والاسلام دين يقرّ بالخلاف والاختلاف صراحة، قال تعالى: ﴿إِلَى الله مَرجِعُكُم جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ (المائدة: 48)؛ إنّ هذه المرجعيّة الدّينية تقر مبدأ الاختلاف في الإسلام وتضع للحوار مكانة متميزة في سلّم الأخلاق الكلاميّة والفكريّة في الدّين الإسلامي[2].

ومن يتدبر آيات القرآن الكريم يكتشف أن الحوار فيه يتوجّه إلى الإنسان في صورته الوجوديّة؛ باعتباره مخلوقاً واحداً، ودلّ الأسلوب القرآني بذلك على وحدة الإنسان في ظلّ ميثاق البشرية الذي هو ميثاق مقدّس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدةٍ وَخلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً وَاتَّقُوا الله الذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ والأرحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَليكُم رَقِيباً﴾ (النساء: 01)؛ إنّ مبدأ الحوار مبدأ حكيم في القرآن الكريم، ذلك أن مبعث الحكمة كامن في السّماح للآخر بأن يجيب ويعترض أو يخالف دون مصادرة حقّه في الاعتراض أو الرّد، والله تعالى يصون هذا الحقّ لجميع المعارضين، وإن أمعنوا في معارضتهم وتمرّدهم ومروقهم عن الدّين، وقد تمّ التّنبيه على هذه الفلسفة العميقة للحوار

(1) الأزهري: تهذيب اللغة، ص: 288.

(2) محمد أديوان: مفهوم الحوار في الإسلام-مقاربة ثقافية استراتيجية-، ص: 507.

في مواطن كثيرة من خلال استخدام مصطلح التدافع والدّفع بين النّاس، والذي يُفسّره الكثير من المفكرين بأنه لا يمكن إلاّ أن يكون نمطاً من أنماط الحوار، وهو يدلّ على أسس الحوار[1]، فمن صفات المحاور المسلم في التّصور الإسلامي أن يكون عقلانياً في تفكيره مع نبذ مبدئي لكل تفكير عاطفي، ونزعة تعصبيّة مقيتة تعمي عين العقل عن رؤية الحقّ والحقيقة، فكل حوار يلجأ إليه المسلم بعيداً عن هذه القيّم وخارج هذا السّياق العقلي، فهو حوار يتبرّأ منه الإسلام، فالمحاور المسلم عقلاني بالطبيعة، لأنّ القرآن الكريم اعتمد على الحجّة والبرهان في تفسير عظمته وإعجازه، ولا أدلّ على ذلك من عبارات ﴿لا تعقلون﴾ ﴿أفلا يعقلون﴾ ﴿ألا تعلمون﴾ ﴿وفي أنفسكم﴾ ﴿أفلا يتذكّرون﴾ ﴿أفلا يبصرون﴾، وغيرها من العبارات القرآنيّة التّي تدعو صراحة إلى إعمال العقل واستعمال أدوات المنطق في البرهنة والاستدلال، ومن صفات عقلانيّة المحاور المسلم عدم لجوئه إلى إغضاب الآخر وإثارته واستفزازه، لأنّ هذا السّلوك الاستفزازي عاطفيّ وعصبيّ لا يدلّ على اتّزان نفسي ونضج عقلي، وقد حذّر الإسلام من ركوب هذا المركب في الحوار، بل نهى القرآن الكريم نهيّاً صريحاً عن هذه السلوكات الشائنة في قوله تعالى: ﴿ولا تَسُبُّوا الذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِ الله فَيَسُبُّوا الله عَدوّاً بِغَيرِ عِلمٍ﴾ (الأنعام: 108)، وعلى المحاور المسلم أن يبحث في حواره عن أسس فكريّة، وحقائق تجمعه بالآخر وتربطه به، حتى يكسب ودّه ويختصر مسافة الخلاف بينه وبين الآخر، إذ من مفعول ذلك البحث عن نقاط الالتقاء الفكري والثّقافي والدّيني بين المسلم والآخر، وهو الذي يحوّل الحوار من مجرد آليّة للتّواصل إلى آليّة للتّقارب والتّعايش السّلمي، وقد رسّخ القرآن الكريم هذا المبدأ الحواري من خلال آيات تمّ فيها التّركيز على نقاط الاتّفاق بين المسلم ومن يتحاور معهم، ولقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاث آيات فقط، وهي:

أ- قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ **(الكهف: 34).**

ب- قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بالذي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ من نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾ **(الكهف: 37).**

ج- قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَولَ التي تُجادِلُكَ في زَوْجِهَا وَتَشْتَكي إلى الله واللهُ يَسمَعُ تَحاوُرَكُمَا إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصيرٌ**﴾ **(المجادلة: 01).**

ويذهب القرطبي (ت671هـ) في تفسيره للآية الأخيرة إلى أنَّ المحاورة هي المجادلة، والتّحاور هو التّجاوب[2].

وقد لاحظ العديد من الباحثين، أنّ القرآن الكريم استعمل لفظة الحوار مقرونة في الدلالة بلفظة الجدال ومعانيها، وأضحى المعنيان يتبادلان الأدوار في الأسلوب القرآني مع غلبة عدد استعمال لفظة الجدال على لفظة الحوار، كما أنّ المعنيين متقاربان في الدلالة القرآنية، بحيث يُلفي القارئ تكاملهما

(1(محمد أديوان: مفهوم الحوار في الإسلام-مقاربة ثقافية استراتيجية-، ص: 508.

(2(محمد أديوان: مفهوم الحوار في الإسلام-مقاربة ثقافية استراتيجية-، ص: 508.

دلالياً وسياقيّاً في الآية الأولى من سورة المجادلة التي سبق ذكرها، ويبدو أنّ استقراء مواطن استعمال لفظة الجدل يُبرز مدى ارتباط هذا اللفظ بمعنى الخصومة والغضب، بيد أنّ متابعة مواضع استعمال المُحاورة يُبيّن أنها تدلّ على مجرّد الاختلاف والتّباعد في وجهات النّظر، ومن يرجع إلى بعض الآيات التّي أسّست لمفهوم الحوار في القرآن الكريم يُدرك أنّ القصد هو تبادل الأفكار والآراء ونبذ الخصومة، وشجب المُقاطعة، ويظهر للمتمعّن أنّ الحوار هو الأسلوب المفضّل في القرآن الكريم للدّعوة والتّبليغ، وذلك سواء كان الخطاب موجهاً إلى الأفراد أو الجماعات في سيّاق الحجاج العقلي والتّرغيب، وهو يرمي إلى تجلية الحقيقة والسّعي بطرائق عقليّة إليها، ويعتدّ على التوجّه إلى الإنسان في صورته الوجوديّة باعتباره مخلوقاً واحداً[1].

وما نلاحظه هو أنّ كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل التي تتضمن بعض الدّلالات التي تتوافق مع الصّراع، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَكَان الإنسانُ أكثر شيء جدلاً﴾، وقد حلّل ابن منظور لفظ الجدل والجدال من جوانب شتّى تتصل بالشّق اللّغويّ والمُصطلحي، فقد جاء في «لسان العرب»: الجدل: اللّددُ في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً، ورجل جَدل ومجدل ومجِدال: شديد الجَدل، ويقال: جادلْت الرجل فجَدلته جدّلاً أي غلبته. ورجل جدَل إذا كان أقوى في الخصام. وجادله أي خاصمه كجادله وجدالاً، والاسم الجدل، وهو شدّة الخصومة، وفي الحديث: ما أوتي الجَدَل قومٌ إلا ضلّوا، الجدل: مُقابلة الحجّة بالحجّة؛ والمجادلة: المناظرة والمُخاصمة، والمراد به في الحديث الجدلُ على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق؛ فإن ذلك محمود، لقوله عز وجل: ﴿وجادلهم بالتّي هيّ أحسن﴾. ويُقال: إنه لجدل إذا كان شديد الخصام، وإنه لمجدول وقد جادل[2].

لقد أطبقت المعاجم العربيّة القديمة على أن مدلول جذر(ح، و، ر) مثقل بالمعاني التي تؤكّد على مفاهيم أصيلة في تراثنا الثّقافي والحضاري، ومن بين المصطلحات المتقاربة مع الحوار المناظرة؛ التي هي مشتقة من النّظر الذي يعني تأمّل الأشياء ومعاينتها، كما تنصرف كذلك إلى التّباحث واستحضار الحجج والأدلّة، وسوق البراهين إظهاراً للصّواب، وقد نبّه ابن منظور إلى أن المناظرة أن تُناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه، وأشار إلى أن نظيرك الذي يُراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة، والنظير: المثل، وقيل: المثل في كل شيء[3]. وقد يقع بعض الالتباس بين المناظرة والجدل، وذلك من حيث إنّ النّقاش ينطلق في مستهله على شكل مناظرة، ثم يتطور تدريجيّاً ليُصبح جدلاً؛ أي أنه مفاوضة على سبيل المُنازعة والمغالبة كما ورد في مُعجم في « مفردات ألفاظ القرآن» للعلاّمة الرّاغب الأصفهاني[4]. وقد ورد في

(1(محمد أديوان: مفهوم الحوار في الإسلام-مقاربة ثقافية استراتيجية-، ص: 509.

(2(محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن الكريم: قواعده، أساليبه، معطياته، ص: 16.

(3(ابن منظور: لسان العرب، مج: 04، ص: 264.

(4(ابن منظور: لسان العرب، مج: 14، ص: 293.

كتاب: «التّعريفات» للجرجاني أن المناظرة لغة من النّظير، أو من النّظر بالبصيرة، واصطلاحاً هيّ النّظر بالبصيرة من الجانبين في النّسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب[1]. والمناظرة نوعان: واقعيّة تصور الواقع، وخياليّة أو متخيّلة، وهيّ ما يجري على ألسنة غير البشر، ويكاد يقع الإجماع على ضرورة توفر بعض الشّروط حتى يُطلق على المناظرة هذا الاسم، ولعلّ أبرزها: المرسل؛ الذي يتجسد في شخصيّة المحاور أو المناظر الذي يُدير عمليّة الحوار، والمستقبل؛ الذي هوّ شخصيّة الطرف الآخر للمناظرة، وبيئة الرّسالة التي تقتضي تهيئة الجوّ المناسب للتّفكير المستقل، ومضمون الرّسالة الاتّصالية الذي يفرض معرفة المتناظرين لمضمون المناظرة، وأسلوب الحوار؛ الذي يتجلّى من خلال مناهج الاتّصال وأدواته والقواعد والهدف من المناظرة، ومن ضوابط وأسس المناظرة أن يتمّ التقيّد بالقول المهذّب، والابتعاد عن التّجريح والطّعن والشّتم، والتّخلي عن التّعصب لوجهة نظر سابقة، وكذا تجنّب منهج التّحدي والمبالغة في الإفحام، كما تقتضي آداب الحوار والمناظرة عدم الطّعن في أدلّة الخصم إلا ضمن الأمور التي تقوم على المنطق السّليم، ويجب التّسليم بالقضايا التي تعدّ من المسلمات ابتداءً، وقبول النّتائج التي توصل إليها الأدلّة القاطعة والمرجحة[2].

يُشير الباحث الدكتور (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي) إلى أن الاستفهام في القرآن الكريم جاء على ضربين:

أ-الضرب الحقيقي: وهو ما يُطلب معرفة المستفهم عنه، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يسأل سؤالاً حقيقياً؛ لأن السؤال الحقيقي يستلزم الجهل بما يسأل عنه، والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وما جاء في القرآن العظيم من سؤال حقيقي، يتسم بالقلة والاقتضاب، وقد جاء محكياً من غير الله سبحانه وتعالى، كقول سليمان ÷ لمن حوله: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾-سورة النمل، الآية: 38-.

ب- الضرب الثاني: الاستفهام غير الحقيقي: وهو ما يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر أو أكثر، مثل: الإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر في سؤال هابيل على سبيل المثال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾-سورة المائدة، الآية: 31-؛ فهو لا يرغب أن يسأل عن عجزه، ولكنه يريد أن يُنكر على نفسه هذا العجز، وأن يؤنبها ويعاتبها عليه، كما يتحسر له ويتعجب منه.

والحقيقة أن المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام كالإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر والتهديد، وغير ذلك، ويكاد يقع الإجماع على أن هذه المعاني ليس لها قواعد موضوعة مضبوطة منظمة يُحتكم إليها، وإنما يعتمد في إدراكها على التذوُّق الأدبي الذاتي وعلى القرائن اللفظية والمعنوية التي تُحيط بالاستفهام، ومن الطبيعي أن يختلف المفسرون وفي تأويلاتهم وأذواقهم الأدبية، وفي اكتناه ما يُحيط

(1(الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، حققه وعلق عليه: مصطفى بن العدوي، ص: 130.

(2(الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص: 67.

بالاستفهام من أحوال وقرائن، فكان طبيعياً أن يقع الاختلاف في بعض الأحيان لدى تفسير دلالات الاستفهام من معنى أو معان بلاغية.

وقد حدد الباحث (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي)، الهمزة الداخلة على الأفعال الماضية، ورتبها حسب الحرف الأول من فعلها الثلاثي المجرد؛ فالفعل الماضي الأول الذي دخلت عليه همزة الاستفهام في القرآن الكريم هو (اتخذ)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع؛ الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ، وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ *بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾- سورة البقرة، الآيات: 79-82.

فهذه الآيات الكريمة تتضمن جملة من المعاني؛ ومن بينها أن الله سبحانه وتعالى يهدد بالعذاب الشديد يوم القيامة أحبار اليهود الذين كانوا يكتبون التوراة بأيديهم يختلقون فيها ويُبدلون، ويقولون لليهود الأميين الذين لا يفهمون من الدلالات في التوراة إلا ما يُقرأ لهم، يقولون عن هذا الذي اختلقوه وافتروه هو من عند الله سبحانه وتعالى، وكانوا يفعلون ذلك بغرض نيل منافع دنيوية حقيرة وخسيسة، ومن أجل أن تظل لهم على سائر اليهود رئاسة وهيمنة وسلطان، وكان اليهود يعودون إلى هؤلاء الأحبار يستفتونهم فيما يحل ويحرم، وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يسألهم ويستفهم إنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم: أنى لكم هذا الذي تزعمونه؟ أعهداً اتخذتموه عند الله والله لا يُخلف عهده، أم تقولون هذا من عند أنفسكم وتكذبون به على الله وتدعون ما لا تعلمون؟

أما الاستفهام الذي جاء في الآية: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾، فقد جاء بغرض إفادة التقرير والتوبيخ؛ أي التقرير به على معنى طلب الاعتراف بأحد الأمرين أيهما واقع: اتخاذكم العهد عند الله أم قولكم على الله ما لا تعلمون، والأمر الأول لم يقع فهم لم ينهضوا باتخاذ عهد عند الله، فلم يبق إلا أن يعترفوا بالأمر الثاني، وهو أنهم يقولون على الله الكذب في ادعائهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً قليلة ومعدودة، كما يُفيد التوبيخ أحبار اليهود على كذبهم وافترائهم، وإفادة هذا الاستفهام التقرير والتوبيخ قائمة على أن (أم) متصلة عاطفة؛ أي عطفت الجملة التي بعدها على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام، وهناك نسبة كبيرة من المفسرين يجوزون أيضاً أن تكون (أم) منقطعة، ويُفسرها بعضهم ببل والهمزة، ويكون تقدير الكلام على رأيهم: أتخذتم عهداً عند الله فلن يُخلف الله عهده، بل أتقولون على الله ما لا تعلمون، وعلى هذا يكون استفهام (أتخذتم) للإنكار بمعنى النفي، أي ما اتخذتم عهداً عند الله، ويكون استفهام (بل أتقولون) للتوبيخ، وقد ذهب (السيوطي) في تفسير الجلالين إلى أن استفهام (أتخذتم) لإنكار الاتخاذ ونفيه، وأن (أم) للإضراب الانتقالي، ويكون تقدير الكلام على رأيه: ما اتخذتم عند الله عهداً، بل تقولون

على الله ما لا تعلمون، والرأي الأقوى-كما يرى الباحث (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي) - أن تكون (أم) مُتصلة، وأن الاستفهام للتقرير والتوبيخ؛ ذلك لأنه هو المتبادر إلى الذهن، ولهذا قدّمه معظم المفسرين، وبعضهم لم يذكر غيره، ولأن فيه حمل المخاطبين على الاعتراف بافترائهم وذنوبهم وأخطائهم، وهذا ما يقتضيه المقام، وتستدعيه بلاغة الكلام، وقد نبه الباحث (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي) إلى عدة قضايا، ومن بينها:

أولاً: همزة (أتخذتم) هي همزة الاستفهام، والأصل (أإتخذتم) بهمزتين: الأولى همزة الاستفهام وهي مفتوحة، والثانية همزة الوصل وهي مكسورة، فحذفت همزة الوصل تخفيفاً واستغناءً عنها بهمزة الاستفهام.

ثانياً: (اتخذ) هذا الفعل تارة يتعدى إلى مفعولين اثنين، وتارة إلى مفعول به واحد، وهنا تعدى إلى مفعول به واحد هو (عهداً)، وأما (عند) فظرف متعلق بـ (اتخذ).

ثالثاً: الفعل الماضي(اتخذ) الذي دخلت عليه همزة الاستفهام فعل خماسي على وزن(افتعل)، وقد اختلف في فعله الثلاثي المجرد فذهب الجوهري إلى أن فعله الثلاثي المجرد هو(أخذ يأخذ) من باب نصر ينصر، فالحرف الأول فيه هو الهمزة، وأصل(اتخذ) على رأيه(إأتخذ) بهمزتين: الأولى همزة وصل زائدة، والثانية أصلية هي فاء الكلمة، فاجتمع همزات ثانيتهما ساكنة، وقبلها همزة مكسورة فقلبت الثانية الساكنة ياء لمجانسة الكسرة قبلها، فصارت الكلمة(إيتخذ) فوقعت الياء التي هي فاء الكلمة قبل تاء الافتعال، فأبدلت تاء وادغمت في تاء الافتعال، فصارت الكلمة اتّخذ، وقد استشهد الباحث اللبدي بما ذهب إليه (ابن الأثير)، حيث أشار إلى أن فعل(اتخذ) على وزن افتعل وهو مأخوذ من(تخذ يتخذ) من باب(علم يعلم)، فالحرف الأول فيه التاء، وليس في الكلمة إبدال[1].

أما الموضع الثاني من مواضع الهمزة الداخلة على (اتخذ)، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾-الآية: 16 من سورة الرعد-.

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يسأل المشركين من قومه: (من رب السماوات والأرض)، والهدف من هذا السؤال أن يقروا بما لا مفّر من الإقرار به فيقولوا: ربنا الله، ثم يأمره عز وجلّ أن يُجيب هو نفسه عن هذا السؤال بقوله: (هو الله)، للتنبيه على أن المُشركين يقرون بهذا الجواب ولا يقدرون على إنكاره.

ثم يأمره الله تعالى أن يقول للمشركين ما يتضمن: وإذا كنتم تقرون بأن الله هو رب السماوات والأرض فلم تتخذون الأصنام آلهة تعبدونهم من دون الله، وهم ليس لهم أي نفع أو ضرر، ولم تتركون عبادة رب السماوات والأرض، وهناك إشارة واضحة إلى أن الظلمات والنور لا يستويان، وكذلك الشرك والإيمان لا

(1) عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص: 12 وما بعدها.

يستويان، قل لهم توبيخاً لهم، وتهكماً بهم: أخلقت أصنامكم التي تعبدونها من دون الله أشياء كما خلق الله، أما الاستفهام: (أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً)، فقد جاء مفيداً الإنكار والتوبيخ والتهكم؛ الإنكار بمعنى لا ينبغي لكم أيها المشركون أن تتخذوا من دون الله أصناماً آلهة ليس لها القدرة على شيء، وأن تنصرفوا عن عبادة الله سبحانه وتعالى الذي تعترفون بأنه رب السماوات والأرض، خلقها وخلقكم وخلق أصنامكم، وهو خالق كل شيء، ويُفيد التهكم بهم وتوبيخهم على جهالتهم وسفاهتهم وضلالتهم في عبادتهم ما لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يقدر على شيء، أما الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام في (أفاتخذتم) عاطفة، وقد وقع خلاف واختلاف في المعطوف عليه؛ فعلى رأي سيبويه والجمهور يكون المعطوف عليه هو ما قبل الهمزة، وعلى رأي (الزمخشري) يكون المعطوف عليه مقدراً بعد الهمزة يدل عليه السياق، في حين أن الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على (اتخذ)، قد ورد في قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ -الآية: 55-56 من سورة: ص-.

وقد أقر أربعة من القراء السبعة، قوله تعالى: (أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار) بهمزة القطع في أتخذناهم على أنها همزة الاستفهام استغنى بها عن همزة الوصل، ويكون الاستفهام على هذه القراءة مفيداً الإنكار والتوبيخ والتحسر، على معنى أن الطغاة يُنكرون على أنفسهم يوم القيامة وهم يعذبون في النار سخريتهم في الحياة الدنيا بأولئك الذين آمنوا بالله وصدقوا الرسل، ومع هذا الإنكار يؤنبون أنفسهم على تلك السخرية، كما يتحسرون على ما فرطوا في جنب أولئك الذين كانوا يُعدونهم من الأشرار، والجملة الاستفهامية(أتخذناهم سخرياً) على هذه القراءة جملة استفهامية لا محل لها من الإعراب، وقد قرأ ثلاثة من القراء السبعة(اتخذناهم) بهزة الوصل، ويجوز على هذه القراءة أن تكون همزة الاستفهام مقدرة، فتتحد القراءاتان في الدلالة على الاستفهام، ويجوز كذلك أن لا تكون همزة الاستفهام مقدرة، ويكون الكلام إخباراً، وتكون جملة(اتخذناهم سخرياً) حينئذ صفة ثانية لرجالاً، هذا، وفعل(اتخذ) في قوله تعالى: (اتخذناهم سخرياً) متعد إلى مفعولين: المفعول الأول(هم)، والمفعول الثاني(سخرياً)، والياء المشددة في(سخرياً) ياء النسب تُضاف في المصادر والصفات للمبالغة في الفعل، وقد زيدت هنا في المصدر للمبالغة في السخرية[1].وبالنسبة إلى الفعل الثاني من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم، فهو(أمِن)، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع، فالموضع الأول والثاني والثالث يظهر في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۝ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾-الآية: 94-95 من سورة الأعراف.

(1(عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص: 19.

وقد أفاد استفهام(أأمن) في مواضعه الثلاثة الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد؛ حيث إنه أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي لأهل تلك القُرى الذين جاءهم الأنبياء المرسلون: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، لا ينبغي لهم أن يأمنوا عقاب الله تعالى وعذابه، وقد اجترحوا ما يستحقون عليه العقاب والعذاب من كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم أولئك الأنبياء المرسلين، وتكبرهم عما دعوهم إليه، وتماديهم في العناد والغرور، كما أفاد توبيخ تلك القرى على أن يأمنوا العذاب والعقاب، مع أنهم اقترفوا ما يستحقون عليه العذاب والعقاب، وأفاد التعجيب من أمنهم، مع أن حالهم تستدعي أن يتخوفوا العذاب، وأن يتوقعوا العقاب، كما أفاد هذا الاستفهام كذلك (بطريق التعريض): التحذير والتهديد والوعيد لمشركي مكة بأن يأخذهم الله كما أخذ أهل القُرى من قبلهم لإشراكهم بالله تعالى، وتكذيبهم الرسولﷺ، وتكبرهم عن اتباعه، وتماديهم في العناد والغرور، فليتعظوا بما أصاب غيرهم، وليحذروا أن يصيبهم ما أصاب المشركين المكذبين من قبلهم، وقد ذكر الزمخشري في تفسيره الكشاف أن الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام(أفأمن)، والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام في(أوأمن) حرفا عطف، وأن المعطوف عليه قوله تعالى: (فأخذناهم بغتة) المذكور قبلهما، وان ما بين المعطوف والمعطوف عليه اعتراض، وهذا دليل على أن الزمخشري لم يلتزم مذهبه، وهو أن حروف العطف الواقعة بعد همزة الاستفهام تُعطف على كلام مقدر بعد الهمزة يدل عليه السياق، ويدل أيضاً على أن الزمخشري يذهب أحياناً مذهب سيبويه والجمهور من أن حروف العطف(الفاء والواو وثم) بعد همزة الاستفهام تعطف دائماً على ما قبل الهمزة، والمصدر المؤول من(أن يأتيهم) في قوله تعالى: (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون) في محل نصب مفعول به لـ(أمن) و(بياتاً) مصدر، يجوز أن يكون ظرف زمان على تقدير مضاف أي وقت بيات، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير(يأتيهم) على تأويله باسم الفاعل أي بائتين، وهناك إعرابات أخرى، لكن الباحث اللبدي يعتقد أن أفضل هذه الإعرابات أن يكون منصوباً على الظرفية الزمانية، ليجانس(ضحى) في الآية التي بعدها، وقوله(وهم نائمون) جملة في محل نصب على الحال، وصاحب الحال(هم) في يأتيهم، ورابط جملة الحال بصاحبها الواو وهم في الجملة الحالية، و(ضحى) في قوله تعالى: (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، وقد حذفت هذه الألف لالتقاء الساكنين[1].ومن تذوقات المُفسرين البلاغية ما ذكره(أبو حيان) في تفسيره البحر المحيط حيث يشير إلى أن لفظ(أهل القرى) في قوله تعالى: (أفأمن أهل القُرى)، وفي قوله تعالى: (أو أمن أهل القُرى) بعد قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى)، قد تكرر؛ لأن في ذلك التكرار من التسميع والإبلاغ والتهديد والوعيد ما لا يكون في الضمير لو جاء(أفأمنوا) أو (أو أمنوا)، فإنه متى قصد التفخيم والتعظيم والتهويل جيء بالاسم الظاهر.

(1(عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص: 21-22.

وقد قدم الباحث اللبدي شروحات مفصلة تتصل بجملة من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم، مثل(آمن)، والذي ورد في ثلاثة مواضع، وبشّر، الذي ورد في موضع واحد، وهو قوله: تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنّا نُبَشّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشّرْتُمُونِي عَلَىَ أَن مّسّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشّرُونَ ۝ قَالُواْ بَشّرْنَاكَ بِالْحَقّ فَلاَ تَكُن مّنَ الْقَانِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رّحْمَةِ رَبّهِ إِلاّ الضّآلّونَ﴾ -الآيات: (51-56) من سورة الحجر-؛ فقد أفاد استفهام(أبشرتموني على أن مسّني الكبر)، أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي، وأفاد الاستبعاد والتعجب، وقد أنكر إبراهيم ÷ في بداية الأمر هذه البشارة التي بُشّر بها، واستبعدها، وتعجب منها؛ لأنه تقدم في السن وأصابته الشيخوخة، وأصبحت امرأته عجوزاً عاقراً، وفي قوله: (على أن مسني الكبر): (على) حرف جر و(أن) مصدرية تؤول هي والفعل الذي بعدها بمصدر، وهذا المصدر في محل جر بعلى، و(على) ومجرورها في محل نصب على الحال من ياء المتكلم في(أبشرتموني) و(على) بمعنى مع، أي بشرتموني مع مسّ الكبر إياي[1].

كما ورد كذلك الفعل (بعث) في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾-الآيتان: 94-95 من سورة الاسراء-.

وقد أفادت همزة الاستفهام في (أبعث الله بشراً رسولاً) الإنكار والتعجب، حيث أنكر الكافرون وتعجبوا أن يبعث الله إلى البشر رسولاً يكون بشراً مثلهم، وما كان ينبغي على زعمهم، ومن بين الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم، والتي توقف معها الباحث اللبدي في هذا الفصل، الفعل: (جاء)، والذي ورد في خمسة مواضع، والفعل (جعل)، وقد ورد في ثلاثة مواضع، والفعل (حسب)، وقد ورد في ثلاثة مواضع، والفعل (خرق)، وقد ورد في موضع واحد، والفعل (أذهب)، وقد ورد في موضع واحد، والفعل (رأى)، الذي جاء على أربعة أساليب: الأسلوب الأول: أرأيت، والأسلوب الثاني: أرأيتم، والأسلوب الثالث: أرأيتك، والأسلوب الرابع أرأيتكم.

وقد درس الباحث (عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي) في الفصل الثاني من الكتاب الهمزة الداخلة على أدوات الشرط في القرآن الكريم؛ فالهمزة الداخلة على إنْ الشرطية وردت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا

(1(عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص: 40.

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾-الآيات: 144- 148من سورة آل عمران-.

فقد أفاد الاستفهام في(أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم)، أفاد العتب والإنكار؛ فقد عتب الله سبحانه وتعالى على نفر من أصحاب رسول اله ﷺ أن يُصيبهم الفزع والهلع وأن يفروا من المعكرة، حين قيل لهم في معركة أحد أن محمداً قتل، وإعراب هذا الاستفهام، الفاء عاطفة، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبل الهمزة، و(مات) فعل الشرط فهو محل جزم، و(انقلب) جواب الشرط فهو في محل جزم أيضاً، والجار والمجرور(على أعقابكم) في محل نصب حال من فاعل(انقلبتم)، والتقدير: انقلبتم راجعين، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن فعل(انقلبتم) ليس جواب الشرط، وإنما هو الفعل المستفهم عنه، فهو مدخول الهمزة فينوى به التقديم، وتقدير الكلام عند يونس: أتنقلبون إن مات أو قتل، وجواب الشرط عنده محذوف دل عليه مدخول الهمزة المتأخر لفظاً المتقدم تقديراً، وعلى مذهبه تكون إن مع شرطها معترضة بين الهمزة ومدخولها، وبرأي يونس أخذ كثير من المفسرين في هذه الآية[1].

والموضع الثاني لهمزة الاستفهام الداخلة على إن الشرطية ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ -الآيات: 144-148من سورة آل عمران-.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾-الآية: 34من سورة الأنبياء-. فالاستفهام (أفإن مت فهم الخالدون) يُفيد الإنكار والاحتقار؛ يُفيد الإنكار بمعنى النفي وعلى معنى لن يخلد الله تعالى هؤلاء المشركين في الحياة الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت، ويُفيد الاحتقار على معنى إذا كنت أنت يا محمد على علو مكانتك ومنزلتك وعظيم قدرك عند الله تعالى سوف تموت، أفيخلد الله تعالى هؤلاء المشركين وليس لهم من الفضل ما يزن مثقال ذرة، وإعراب هذا الاستفهام: (أفإن مت فهم الخالدون): الفاء عاطفة، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبلها، و (متّ) مؤلفة من مات وهو فعل الشرط في محل جزم بـ(إن)، ومن التاء ضمير المخاطب المبني على الفتح في محل رفع على الفاعلية، وجملة (فهم الخالدون) في محل جزم جواب الشرط، وجواب الشرط هذا (فهم الخالدون) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه، وهو أيضاً موضع ما أفاده هذا الاستفهام من معان، وقد

(1(عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص: 261.

قُرئ فعل الشرط السابق (مُتّ) بضم الميم وكسرها، والموضع الثالث لهمزة الاستفهام الداخلة على إن الشرطية في القرآن الكريم ورد في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قالُوا ما أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (15) قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَما عَلَيْنا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (17) قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (18) قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19)﴾-الآيات: 13-19 من سورة يس-.

ف (ذكّر) في (أ إن ذكرتم) هو شرط (إنْ) أما جواب (إنْ) فمحذوف دل عليه الكلام السابق، والتقدير: أ إن ذكرتم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب، وهذا الجواب المُقدر المحذوف هو مصب الاستفهام ومورده ومناطه، وهو أيضاً موضع ما أفاده هذا الاستفهام من معان، وقد أفاد استفهام (أ إن ذكرتم) أفاد الإنكار والتعجب والتوبيخ: أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لكم أيها المشركون أن تتشاءموا بنا وأن تطّيروا وأن تجعلوا من دعوتنا إياكم إلى عبادة الله وحده، ونهينا إياكم عن عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، لا ينبغي أن تجعلوا من ذلك طيرة وشؤماً وتهديداً برجمنا بالحجارة ووعيداً بتعذيبنا العذاب الأليم، وقد أفاد هذا الاستفهام أيضاً التعجب من أن يتشاءم هؤلاء المشركون، وأن يطّيّروا برسل الهدى والدعوة إلى الإيمان بالله، أما همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية في القرآن الكريم، فقد وردت في ثلاثة عشر موضعاً، ومن بينها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ، وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ، أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ، ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾-الآيات: 47-52 من سورة يونس-.

وقد أفاد الاستفهام (أثم إذا ما وقع آمنتم به) التوبيخ والإنكار[1]. أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي ولا يصح ولا يليق أن تؤمنوا بالعذاب حين وقوعه بكم، لأن الإيمان في هذه الحالة غير مجد ولا مقبول، وأفاد كذلك توبيخهم على تأخير الإيمان إلى زمن رؤية العذاب واقعاً بهم حين لا يقبل إيمان، ومورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه هو جواب إذا، وهو (آمنتم به) مقيداً بشرطها، وهذا الجواب أيضاً موضع ما دل عليه الاستفهام من إنكار وتوبيخ.

2.2. الظّروف الزّمانيَّة في القرآن الكريم، للباحث بشير محمّد زقلام:

سعت هذه الدراسة إلى كشف بعض الظواهر النحوية في كتاب الله العزيز، وقد ركز الباحث على ظرف الزمان نظراً لما له من أهمية في الأسلوب؛ فما من شيء من المحدثات إلا وله زمان واقع فيه، وذكره

(1(عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي: همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص: 268.

يعتبر تقييداً للحدث، أو توكيداً له، أو إشعاراً بأهميته، أو إيحاء بصعوبته في ذلك الوقت، أو تحديداً لمقداره، وقد قسم الباحث دراسته إلى عدة أقسام، ومن بينها:

- الظروف الزمانية غير المتصرفة في القرآن الكريم.
- الظروف الزمانية المتصرفة في القرآن الكريم.
- ألفاظ مختلف في ظرفيتها، ومن بينها: لما-كيف- مهما-إذا الفجائية-إذن.
- ما ينوب عن الظروف الزمانية في القرآن الكريم، وقد درس فيه الباحث: المصدر الصريح المؤول، كل وبعض وما شابههما، الصفة، العدد المميز، وألفاظ أخرى استعملت استعمال الظروف.
- متعلقات الظروف الزمانية في القرآن الكريم.
- ظاهرة التوسع في الظروف الزمانية في القرآن الكريم.

وهناك قضايا أخرى توف معها الباحث (بشير محمّد زقلام).

لقد أشار الباحث (بشير محمّد زقلام) في تمهيد الكتاب إلى أن الظرف عند اللغويين هو: الوعاء لشيء، كالأواني فهي تسمى ظروفاً لما يُجعل فيها، وكذلك الأزمنة والمكنة فهي أوعية للأحداث الواقعة فيها، وقد اصطلح النحاة على تسميته: (المفعول فيه)، وهو اسم منصوب يدل على زمان أو مكان، ويتضمن معنى في باطراد، ولذلك يقول (ابن يعيش): (واعلم أن الظرف في عرف أهل هذه الصناعة ليس كل اسم من أسماء الزمان والمكان على الإطلاق، بل الظرف منها ما كان منتصباً على تقدير في، واعتباره بجواز ظهورها معه، فتقول: قمت اليوم، وقمت في اليوم، ففي مراده وإن لم تذكرها).

وينقسم الظرف إلى قسمين: ظرف مكان، وظرف زمان؛ والناصب للظرف هو الحدث الواقع فيه، ويكون مذكوراً نحو قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾، فالإسراء واقع في الليل، وهو العامل فيه، أو محذوفاً جوازاً إذا دل عليه دليل، كقولك: متى سافرت؟ فيجاب: يوم الجمعة، فلفظ يوم منصوب بمحذوف تقديره: سافرت، ويُسمى الظرف الذي ذكر عامله أو حذف جوازاً إذا دل عليه دليل بالظرف اللغو لخلوه من الضمير في المتعلق، أو يحذف العامل وجوباً، وذلك عند وقوعه صفة، أو خبراً، أو حالاً، أو صلة، أو مشتغلاً عنه، أو سمع من العرب محذوفاً، وحينئذ يُقدر له وصف أو فعل في غير الصلة، نحو: كائن أو مستقر، أو موجود، أو استقر أو وجد، أما في الصلة فإنه يقدر له فعل، لأن الصلة لا تكون إلا جملة، والفعل مع فاعله جملة، ويُسمى هذا الظرف بالمستقر، بفتح القاف، أي مستقراً فيه لاستقرار الضمير فيه، ومن ناحية استغراق المعنى ينقسم ظرف الزمان إلى أربعة أقسام:

1-مختص معدود معاً، وهو الذي يقع جواباً لكم ومتى، نحو: كم شهراً صمت؟ ومتى رجعت؟ فالجواب صمت رمضان، ورجعت الصيف.

2-غير مختص ولا معدود، وهو الذي لا يصلح أن يكون جواباً لأحدهما.

3-مختص غير معدود، وهو الذي يقع جواباً لأداة الاستفهام متى فقط.

4- معدود غير مختص، وهو الذي يقع جواباً لأداة الاستفهام كم فقط، نحو: يومين، ثلاثة أيام، أسبوع، شهر، حول.

وقد ذهب بعض النحاة إلى أن الذي يصلح أن يقع جواباً لأداتي الاستفهام كم ومتى يستغرقه الحدث؛ بشرط أن لا يكون الحدث مختصاً ببعض أجزاء ذلك الزمان..[1]..

درس الباحث (بشير محمّد زقلام) في الفصل الأول من الكتاب الظروف الزمانية غير المتصرفة في القرآن الكريم، حيث ركز في هذا الشق على الظروف الزمانية غير المتصرفة التي تُلازم النصب على الظرفية أو شبهها؛ أي أنها لا تخرج عنها أصلاً كقط وعوض، وهناك ألفاظ يغلب عليها النصب على الظرفية، وجاءت في القرآن العظيم، وهي:

- إذاً: الغالب أن يكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط.
- إذ: يلازم الظرفية إلا أن يُضاف إليه اسم زمان.
- الآن: ظرفية لازمة، ولا يخرج عنها إلاّ في القليل المسموع.
- أيان: ظرف بمعنى متى.
- متى: ظرف غير متصرف سؤال عن الزمان.

إن إذا هي اسم من أسماء الزمان، وهي تدل على زمن مبهم في الاستقبال، متضمنة معنى الشرط غالباً، وتحتاج إلى جواب موجود أو مقدر، وقد تتمحض إلى الظرفية فلا تحتاج إلى جواب، وقد قسمها الباحث (بشير محمّد زقلام) في دراسته إلى ثلاثة أنواع:

1-إذا المتمحضة للظرفية.

2-إذا المحتملة للظرفية المحضة أو للظرفية المضمنة معنى الشرط.

3-إذا الظرفية المضمنة معنى الشرط.

وقد ذهب بعض النحاة والمفسرين لدى دراستهم لـ إذا الواقعة بعد القسم إلى أنها متمحضة للظرفية، وليس فيها معنى الشرط، ولذلك نلفي ابن هشام في فصل خروج إذا عن الشرطية، يقول: (ومن ذلك-إذا- التي بعدها القسم)، وقد ذكر السهيلي: (ويحسن الفعل المستقبل مع –إذا- بعد القسم، كقوله تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾ لانعدام معنى الشرطية فيه).

والحقيقة أن للنحويين في تقدير العامل في إذا الواقعة بعد القسم جملة من الخلافات، لأن فعل القسم إنشاء، وزمانه الحال، فلا يعمل في إذا، لأنها للاستقبال، وتسليطه على إذا يلزم منه اختلاف العامل والمعمول في الزمان، ولا يجوز أن يكون ثم مضاف محذوف أقيم المقسم به مقامه، أي: وطلوع النجم، ومجيء الليل، لأنه معمول لذلك الفعل، فالطلوع حال، ولا يعمل فيه المستقبل ضرورة أن زمان المعمول

(1(بشير محمد زقلام: الظروف الزمانية في القرآن الكريم، ص: 10-11.

زمان العامل، ولا يجوز أن يعمل فيه نفس المقسم به، لأنه ليس من قبيل ما يعمل، خاصة إذا كان جثة، فلا يكون الزمان حالاً منها ولا خبراً، وقد أشار (الزمخشري) في الكشاف، إلى أن في قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها﴾: الأمر في نصب-إذا- معضل، لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر، فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك: مررت أمس بزيد واليوم عمرو، وإما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه، وقد حال الزمخشري حل هذا المعضل في هذه الآية ونحوها، حيث يرى أن الواو قائمة مقام الفعل وباء القسم؛ لأن واو القسم لا يصرح معها بفعل القسم، فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر، فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معاً والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو، كما تقول: ضرب زيد عمراً وبكر خالداً، فتُرفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملها.

أما النوع الثاني الذي ذكره الباحث (بشير محمّد زقلام)، فهو إذا المحتملة للظرفية المحضة، أو للظرفية المضمنة معنى الشرط؛ فقد احتملت إذا أن تكون ظرفية، أو ظرفية مضمنة معنى الشرط في ثلاثين موضعاً من القرآن العظيم، وذلك عند عدم وجود الجواب، فمن جعلها ظرفية شرطية قدر الجواب، ومن جعلها متمحضة للظرفية استغنى على الجواب، وقد جاءت إذا في بعض هذه الآيات مجردة؛ أي لم يسبقها حرف ولم يلحق بها، كما جاءت في آيات أخرى مسبوقة بهمزة الاستفهام، ومسبوقة بالواو في موضع واحد، ومسبوقة بحتى في موضع واحد، ومسبوقة بإلاّ في موضع واحد، ومسبوقة بما في موضع واحد، فبالنسبة إلى الآيات التي وقعت فيها إذا مجردة، فهي في نحو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾-الآية180من سورة البقرة-.

ففي هذه الآية الكريمة إذا اعتبرنا إذا شرطية كان جوابها محذوفاً، والتقدير: فليوص، ويكون المعنى إذا شعر أحدكم بمقدمات الموت وجبت الوصية، وإذا اعتبرنا أن إذا متمحضة للظرفية، فلا تحتاج إلى جواب ويكون العامل في إذا كتب، وصار المعنى وجبت الوصية وقت الموت.

وكذلك الشأن في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾-الآية233من سورة البقرة-.

فالعامل في إذا في هذه الآية المعنى الذي يدل عليه الشرط الأول وجوابه، أو هو متعلق بما تعلق به عليكم، وى تكون إذا حينئذ شرطاً، بل تتمحض للظرفية، ويُشير الباحث (بشير محمّد زقلام) إلى أنه على القول أن إذا ظرفية شرطية في هذه الآية يكون المعنى: إذا سلمتم فلا جناح عليكم، أما على اعتبار أن إذا

متمحضة للظرفية يكون المعنى: فلا جُناح عليكم وقت تسليمكم، فنفي الحرج على أساس أن إذا ظرفية يكون مقتصراً على وقت التسليم، وعلى أساس أنها ظرفية شرطية يكون نفي الحرج له ارتباطات بالتسلية لا بالوقت، وهناك اختلافات بين النحاة في إذا المسبوقة بهمزة الاستفهام، فيذهب بعضهم إلى أنها متمحضة للظرفية، ويرى بعض آخر أنها ظرفية مضمنة معنى الشرط، وبالنسبة إلى النوع الثالث، فقد وقعت إذا الظرفية المضمنة معنى الشرط في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وجاءت مجردة، أي لم يسبقها حرف ولم يلحق بها، كما وردت مسبوقة في الواو، ومسبوقة بالفاء، ومسبوقة بحتى، ومسبوقة بثم، ومسبوقة بما، وقد لاحظ الباحث زقلام أن شرط إذا وجوابها وردا متفقين في الفعل ومختلفين، ويُلاحظ أن القرآن الكريم غالباً ما يُشير بالفعل الماضي إلى الأمور الثابتة؛ لأن الفعل الماضي يُستعمل فيما وقع من الأحداث، وهذه الأحداث بالنسبة للبشر مدركة بالحواس، وهذا ما يُلاحظ في أغلب الآيات التي جاءت بإذا مقرونة بالفعل الماضي، والجواب إذا وقع ماضياً فهو أيضاً لا يخلو من هذا التعليل ويكون فيه مزيد من التناسب بين الفعل والجزاء، ولذلك كان وقوعه كثيراً في القرآن الكريم، أما إذا كان فعل الشرط والجواب مضارعين، فإن المعنى يكون دالاً على استمرار الحدث في الحال والاستقبال، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾-الآية108من سورة الإسراء-، فلفظ يتلى دل على تكرار الحدث واستمراره في أزمنة مختلفة، وجاء الجواب مناسباً لها، وهو الخشوع والإذعان في زمان مناسب زمان الشرط ومستمر باستمراره، فمتى كانت التلاوة كان الخشوع، وقد ورد الجواب والشرط مختلفين؛ فجاء الشرط ماضياً، والجواب مضارعاً فأفاد الشرط حينئذ الثبوت، والجواب التجدد والاستمرار، بيد أنه بقي سيء واحد وهو عدم التناسب بين الشرط والجواب كما يبدو للوهلة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾-الآية: 1-3 من سورة المطففين-.

فالكيل أمر يتسم بالثبات ولابد منه يُمارسه الناس في حياتهم اليومية، أما الإخسار في الميزان لا يكون من كل الناس، وإنما من بعض النماذج التي يُحاربها القرآن العظيم؛ ولذلك فإن هذا الحدث (الإخسار) لا يكون موجوداً باستمرار، إلا على يد هؤلاء الناس، ومن هنا كان التناسب واضحاً، فتم التعبير بالفعل الماضي عن حالة ثابتة مطردة في حياة البشر، غير أن الاستيفاء، أو الإخسار حالة مرتبطة بنوعية الإنسان ونفسيته، ومدى إيمانه بخالقه، واستقامة سلوكه في الحياة، ومن هنا كان الاختلاف مقصوداً، لأن الشرط يُعبّر عن حالة معينة، والجواب عن حالة أخرى، وكذلك القول عندما يكون فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً، كما في قوله تعالى: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾-الآية: 15 من سورة القلم، و13 من سورة المطففين-.

فالتلاوة تتكرر باستمرار في أوساط المسلمين، لذلك عبّر بالمضارع، أما الجواب فقد جاء ماضياً؛ لأنه يتحدث عن حالة مُعينة موجودة عند الكافر، وهي الإنكار والجحود وكلاهما أمر ثابت لدى الكافر، أما الجواب فكان مناسباً لظرف الكافر الذي لا يتوقع منه غير الجحود وهو أمر ثابت، ولذلك كان التعبير بالفعل الماضي، وحينما يكون الشرط فعلاً ماضياً، والجواب جملة اسمية يبدو بينهما التناسب؛ لأن كلاً منهما يدل على الثبوت، فالجملة الاسمية تدل عليه وضعاً والفعل الماضي يدل عليه التزاماً[1].

وفي الفصل الثاني من هذه الدراسة درس الباحث(بشير محمّد زقلام) الظروف الزمانية المتصرفة في القرآن، وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج مهمة[2]، ومن بينها أن القرآن الكريم لم يستوعب جميع الألفاظ الموضوعة للدلالة على الزمان، فلم يرد فيه نحو قط- وعوض، كما لم يرد فيه استعمال الظروف المركبة، نحو: يوم يوم، وصباح مساء، وترجيح ظرفية بعض الألفاظ المختلف في ظرفيتها نحو: لما-إذا الفجائية- آنفاً، بالإضافة إلى استعمال بعض الألفاظ الموضوعة للمكان في الدلالة على الزمان، نحو: هناك في غالب مواطنها، واستعمال بعض الحروف للدلالة على الزمان، نحو: عن-اللام- من، وظرفية المصدر المؤول من أن والفعل إذا وجدت قرينة تدل عليه، وذلك على نحو قوله تعالى: ﴿لتأتنني به إلا أن يُحاط بكم﴾-الآية: 66 من سورة يوسف-، ويُضاف إلى هذه النتائج نيابة بعض الألفاظ عن الظرف فتنتصب انتصابه إذا أضيفت إليه أو ذكر بعدها مجروراً نحو: بضع سنين- وجه النهار- قطعاً من الليل- طرفي النهار، جواز إعراب ظرف الزمان خبراً عن الذات إذا أفاد، وإعراب الظروف المقطوعة عن الإضافة صفة وخبراً وحالاً في بعض الآيات الكريمة، وعامل الظرف يجوز أن يكون من الأفعال الناسخة لدلالتها على الحدث، والغالب في استعمال-إذا- في القرآن الكريم أن تكون متضمنة معنى الشرط خاصة إذا قرنت بالفاء أو الواو أو حتى، وقد تنوع شرطها وجوابها فوردا متفقين ومختلفين في الدلالة الزمنية، وغالباً ما يكون شرطها فعلاً ماضياً، وورود-إذ- مضافة إلى الفعل الماضي أكثر من إضافتها إلى الفعل المضارع والجملة الاسمية، وقد جاء خبر الجملة الاسمية فعلاً ماضياً في قراءة خلافاً لما ذهب إليه كثير من النحويين من المنع، واستعمال- أيان- في الأمور العظام، وعدم وقوع الفعل الماضي بعدها، وجواز استعمال-متى- في الممكن والمحقق، والغالب في استعمال-يوم- في القرآن الكريم مبهماً لدلالته على اليوم الآخر، وقد أضيف هذا اللفظ إلى مفرد في أغلب استعمالاته، وأضيف إلى الجملة المضارعية مراداً منه اليوم الآخر غالباً، وأضيف بقلة إلى الجملة الماضوية وجاء مضافاً إلى الجملة الاسمية دالاً على الاستقبال عكس ما يدعيه بعض النحاة من عدم إضافة المستقبل إلى الجملة الاسمية، والغالب في استعمال الليل والنهار مقرونين في القرآن الكريم؛ لأنهما يُمثلان فترة زمانية معروفة عند الناس، وقد غلب تصرفهما في الآيات التي وردا فيها، وقد لاحظ الباحث استعمال –بكرة- في جميع مواضعها من القرآن الكريم مصروفة دالة على وقت غير معين،

(1(بشير محمد زقلام: الظروف الزمانية في القرآن الكريم، ص: 30-31.

(2(بشير محمد زقلام: الظروف الزمانية في القرآن الكريم، ص: 313 وما بعدها.

واستعمال لفظ-الأمس- في القرآن الكريم لتقريب الزمن الماضي وبيان الأحداث الواقعة فيه لرسوخها في الذهن، مثل قوله تعالى: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾-الآية: 24 من سورة يونس-، بالإضافة إلى استعمال-غداً- في القرآن الكريم لمطلق الوقت من غير تقييده باليوم الذي يلي يومك، وذلك لتقريب الزمن المستقبل كقوله تعالى: ﴿فسيعلمون غدا من الكذاب الأشر﴾-الآية: 26 من سورة القمر-، وهناك مدلول-حين- من آية إلى أخرى في القرآن الكريم، فأطلقت على زمن مدة الدنيا، وعلى لحظة من لحظاتها عكس ما يدعيه بعض النحويين من إطلاقه على الوقت الطويل أكثر، واستعمال-أبداً- منصوبة على الظرفية في القرآن الكريم غالباً، واقترنت بلفظ خالدين في أكثر استعمالها، ولم يستثن من مفهومها إلا في آية واحدة على قول، ولا يزاد-الواو- في جواب-لما-خلافاً لما يدعيه بعض النحويين، واقتران-إذا الفجائية-بالفاء في الغالب؛ وقرئ بنصب الاسم الواقع بعدها في قوله تعالى: ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾-الآية: 68 من سورة الزمر-، وهو جائز إذا كان نكرة بخلاف ما إذا كان معرفة فإنه لا يجوز عند البصريين، وإعراب-إذن- ظرف زمان بمعنى حينئذ في القرآن الكريم، ولم توصل ما المصدرية بالجملة الاسمية في القرآن الكريم، وفي وصلها خلاف، وقد استعمل القرآن الكريم الفعل بعد ما المصدرية مراداً منه العموم، مثل: دام، استطاع، علا، ويُضاف إلى هذا استعمال قبل وبعد مجرورين بمن في القرآن غالباً، وقد وقعت بعد موقع قبل في بعض الآيات على رأي بعض النحاة، وقد ناقشت هذا الرأي، وإضافة لفظ-أول- إلى مفرد وهو مرة في أغلب استعمالاته في القرآن، ليدل على بداية الزمن المفيد البداية المطلقة.

3.2. الحال في الأسلوب القرآني للباحث عبد الستّارعبد اللّطيف أحمد سعيد:

وهي دراسة عميقة هدفت إلى «تأصيل بعض قواعد نحونا العربي من خلال أفصح الأساليب على الإطلاق وهو الأسلوب القرآني، والكشف عن تلون مظاهر هذه القواعد في هذا الأسلوب».

ومن أبرز القضايا التي درسها الباحث في هذا الكتاب:

- أوصاف الحال في أسلوب القرآن الكريم.
- أنواع الحال في الأسلوب القرآني.
- سمات صاحب الحال في القرآن الكريم.
- عامل الحال في أسلوب القرآن الكريم.

في تمهيد الكتاب بيّن الباحث (عبد الستّار عبد اللّطيف أحمد سعيد)، الحال عند اللغويّين والنحويّين، حيث أطلق النحويون على ما به بيان هيئة الصاحب وقت قيامه بالحدث اسم الحال؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَاۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾-الآية: 40 من سورة التوبة-، نلفي أن ثاني اثنين صورت حال الرسول محمدﷺ، وقت خروجه من مكة مهاجراً إلى المدينة ومعه (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه، وفيس

قوله تعالى عن إخوة يوسف ÷: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾-الآية: 16 من سورة يوسف-، فجملة يبكون تُصوّر حال إخوة يوسف وقت مجيئهم إلى أبيهم، ويكشف القرآن الكريم كذبهم حين مجيئهم، فيقول: ﴿وجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾-الآية: 18 من سورة يوسف-، فقد قرئ بالنصب في كذب على أنه مصدر في موضع الحال، وقد كشف (ابن يعيش) سر تسميتهم له بالحال، عندما أشار إلى أنه إنما سمي حالاً؛ لأنه لا يجوز أن يكون اسم الفاعل فيها إلا لما أنت فيه تطاول الوقت أم قصر، ولا يجوز أن يكون لما مضى وانقطع، ولا لما يأتي من الأفعال، إذ الحال هي هيئة الفاعل أو المفعول وصفته في وقت ذلك الفعل.

وللحال أهمية قصوى في الأسلوب، فهي تكشف حال من هي له، وقد شاعت في أسلوب القرآن الكريم.

لقد توقف الباحث (عبد الستّار عبد اللّطيف أحمد سعيد) في الفصل الأول من الكتاب، مع أوصاف الحال في القرآن الكريم، وقد قسم هذا الفضل إلى عدة أقسام: الاشتقاق والجمود، والتنكير والتعريف، والانتقال والثبوت، فبالنسبة إلى اشتقاق الحال، فقد تنوّعت المشتقات الواقعة حالاً في القرآن الكريم، فهي اسم فاعل تارة، وأخرى اسم مفعول، أو صفة مشبهة، أو غير ذلك، فمجيء الحال مشتقة اسم فاعل، ورد في 139مائة وتسعة وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم، حيث جاءت الحال اسم فاعل مصوغاً من الفعل الثلاثي مفردة ومثناة ومجموعة مطابقة صاحبها، وقد جاءت مفردة مذكرة في 17 سبعة عشر موضعاً، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾-الآية: 52 من سورة النحل-. فواصباً حال من الدين، والوصب هو الدوام، ويُقال وصب الشيء وصوباً إذا دام، فحق على الإنسان أن يطيع الله دائماً، وقيل: الوصب: التعب، أي أن طاعة الله واجبة وإن تعب العبد فيها، ومنها كذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾-الآية: 14 من سورة النساء-، فخالداً حال من مفعول يدخله.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾-الآية: 40 من سورة التوبة-، فثاني منصوب على الحال من مفعول أخرجه، والضمير عائد على الرسول محمدﷺ، فقد أخرجه الذين كفروا مُنفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكرؓ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾-الآية: 8 و9 من سورة الحج-. فثاني عطفه حال من فاعل يجادل، والعطف-بكر العين- الجانب، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾-الآية: 21 من سورة القصص-، فخائفاً حال من فاعل خرج، وهو ضمير يعود على موسى÷، وهذه الحال تصوره وقت خروجه من المدينة بعد علمه بتآمر الملأ على قتله، وقد جاءت الحال مؤنثة اسم فاعل من الفعل الثلاثي في 13 ثلاثة عشر موضعاً، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾-الآية: 28 من سورة الفجر-، فهي حال تبين هيئة النفس المؤمنة عند الموت فهي راضية بثوابها ومرضية عند الله بعملها، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾-الآية: 94 من سورة البقرة-، فخالصة حال من الدار الآخرة، والمُراد بها الجنة، حيث إن الخطاب لبني إسرائيل الذين ادَّعوا ما حكاه عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾-الآية: 111 من سورة البقرة-.

كما درس الباحث(عبد الستّار عبد اللّطيف أحمد سعيد) في الفصل الثاني: أنواع الحال في القرآن الكريم، وفي الفصل الثالث تطرق إلى صاحب الحال في القرآن الكريم، وقد أشار إلى أن الصاحب الذي كانت الحال له في أسلوب القرآن الكريم أهم ما يمتاز به أنه صحاب قرآني، يحمل من معالم كتاب الله تعالى الكثير، فهو إما أن يكون ذلك الكتاب؛ فتأتي الحال لتبيّن جوهره فهو هدى ورحمة، وهو اللسان العربي، والقرآن العربي، أو تأتي الحال منه لتؤكد أنه الكتاب الكامل الذي لا ريب فيه ولا شك، وإما أن يكون ذلك الصاحب القرآني هو محمد ﷺ مُخاطباً من ربه فتكون الحال مبينة أن هذا الصاحب قد أرسل مبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أو تُبيّن أنه أُرسل إلى الناس جميعاً، أو تأتي الحال لتكشف ما كان يقوم به الرسول محمد ﷺ كقائد حربي يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال، أو لتصوره مع أصحابه أشداء على الكفار رُحماء بينهم، على قراءة النصب في أشداء ورحماء، وقد يكون الصاحب القُرآني لفظ المؤمنين قاطبة؛ فتأتي الحال لتكون قيداً لهم في معاملتهم، أو عبادتهم، أو سلوكهم، فعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وتتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، وهم المخاطبون بقوله تعالى: وقوموا لله قانتين، وهم المخاطبون بقوله تعالى بشأن الصلاة في الحرب، فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً، ويذكر الباحث(عبد الستّار عبد اللّطيف أحمد سعيد) أن سمات صاحب الحال أنه قد جاء معرفة متنوع التعريف، ضميراً، علماً، اسم إشارة، اسم موصول، معرفاً بأل، مضافاً إلى معرفة، وهو في كل ذلك يحمل طابع القرآن الكريم؛ فالضمير قد يكون للرسول أو للمؤمنين أو غير ذلك، والعلم قد يكون الجنة أو جهنم، أو اسم الله، أو اسم نبي من أنبيائه، أو إلى الآيات الواضحة التي أنزلت على أحد من رسله[1]، كما درس الباحث(عبد الستّار عبد اللّطيف أحمد سعيد) عامل الحال في القرآن الكريم، ومن أهم النتائج التي توصل إليها في ختام دراسته[2]، أنه قد ثبت من خلال الأسلوب القرآني غلبة كون الحال مشتقة، وقلة مجيئها جامدة؛ حيث وردت مشتقة في229مائتين وتسعة وعشرين موضعاً، ووردت جامدة في179مائة وتسعة وسبعين، وغلبة اشتقاق الحال أمر قد قرره النحاة، وبالبحث في الأسلوب القرآني ظهر

(1(عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد: الحال في الأسلوب القرآني، ص: 370.

(2(عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد: الحال في الأسلوب القرآني، ص: 451 وما بعدها.

بطريقة عملية أصالة هذه القاعدة التي قعدها النحاة، أما جمود الحال، فقد تبت أيضاً بقلة من خلال استقصاء هذه الحال في القرآن الكريم، ولكن النحاة قد قرروا أن الحال تأتي جامدة غير مؤولة بمشتق في مواضع، وما عداها يؤول بمشتق، وقد رأى بعضهم أن كل ما ورد من الحال الجامدة فهو في تأويل المشتق، ومما يتعلق بالحال الجامدة في أسلوب القرآن الكريم، تعبيره عنها بالمصدر الصريح المنكر، فقد ورد ذلك بكثرة، مما يكشف لنا أن الفكر النحوي حين شغل نفسه بتأويل هذا المصدر وتخريجه قد اشتغل بما لا طائل وراءه، وما دام الأسلوب القرآني قد أثبت وقوع الحال مصدراً بكثرة، فذلك يُعطينا حرية القياس عليه والنسج على منواله، وأن نغض النظر عن خلاف النحاة حول القياس على المصدر الواقع حالاً، فمنهم من يرى أن ذلك مقصور على السماع، ومنهم من يقيسه في مواضع، وبعضهم يقيسه مطلقاً، وقد ذكر الباحث أن المصدر المؤول قد أعربه بعض النحاة حالاً، في حين أعربه آخرون ظرفاً، وقد شاع في الأسلوب القرآني تنكير الحال، وندر أن تأتي معرفة، ولكن تعبير القرآن الكريم عن الحال بلفظ معرف قد حسن في موضعه من النص، وأعطي من المعنى ما لا يُعطيه، وقد أثبت النص القرآني أن الحال قد تكون لازمة لصاحبها في مواضع، كأن تكون وصفاً للخالق، أو وصفاً للقرآن الكريم، كتاب الإنسانية الخالد، أو أن يكون عامل هذه الحال مفيداً تجدد الصاحب ما دامت الحياة، أو أن تكون الحال ملتصقة بما سبقها من فعل، أو صاحب، أو جملة اسمية، لإفادة التأكيد، أو أن تكون هذه الحال وعداً من الله لعباده الطائعين، وقد تنوّع تعبير القرآن الكريم عن الحال، فتارة يكون بلفظ مفرد، وتارة يكون بجملة فعلية أو اسمية، أو بشبه جملة(الظرف والجار والمجرور)، وقد كان لتنوع الحال المفردة من مشتقة إلى جامدة أثر في انسجام الحال؛ حيث وضعت في مكانها من النظم القرآني، هذا فضلاً عما في تنوع المشتق من اسم فاعل قد صيغ من الثلاثي أو من غيره إلى اسم مفعول أو غير ذلك من المشتقات التي يفيض بها التنزيل، وقد أظهر الأسلوب القرآني أن الجُملة الحالية لا بد أن تكون مرتبطة بصاحبها، وقد تنوعت وسائل الربط في هذه الجملة، فتارة ترتبط بالضمير فقط، أو بالواو فقط، أو بهما معاً، وذلك التنوع في وسيلة الربط، يُميز الجملة الحالية عن غيرها من الجمل التي تحتاج إلى رابط، وبالبحث في الأسلوب القرآني عن الجملة الاسمية الحالية، تبين أنها متنوعة الصور، فهي تارة مبدوءة بالضمير، وفي أخرى باسم ظاهر، علم، أو اسم إشارة، وقد تكون مبدوءة بنكرة، وقد يتقدم فيها الخبر على المبتدأ، كما أنها قد يدخل عليها حرف ناسخ، وهي في كل هذه الصور مرتبطة مؤدية لوظيفتها-الحالية- ولا تقوم إحدى هذه الجمل بما تقوم به الأخرى، وقد كشف الأسلوب القرآني أن الاستفهام الذي قصد به بيان هيئة قد يعبر به عن الحال، وقد اتضح للباحث أن الجملة الفعلية المضارعية المثبتة قد يعتورها مع القول بالحالية أوجه إعرابية أخرى، كأن تكون صفة أو خبراً أو بدلاً، أو مفعولاً به، أو جواب شرط، أو اعتراضية، أو تفسيرية، أو استئنافية، أو تكون حالية على قراءة دون أخرى، وقد ورد في الأسلوب القرآني مجيء المضارعية المنتفية بلا حالاً، وهي مسبوقة بواو الحال، وقد رأى بعض النحاة أن يقدر مبتدأ قبل هذه الجملة لتسلم له قاعدته التي تقضي

بأن المضارع المنفي بلا إن وقع حالاً فلا بدّ أن يكون عارياً من الواو، وقد ورد في التنزيل مجيء الحال جملة فعلية مضارعية منفية بلم، وهي غير مسبوقة بواو الحال، وقد وقع المضارع المنفي بما حالاً في الأسلوب القرآني، وهو مرتبط بواو الحال مع الضمير، كما ورد حالاً وهو عار من الواو، ولعلّ ذلك يحسم لنا خلاف النحاة حول هذه القاعدة، فمنهم من يرى أن المضارع المنفي بما الواقع حالاً لا تدخل عليه الواو، وبعضهم يرى أن اقترانه بالواو جائز، وقد عبر الأسلوب القرآني عن الحال بالفعل الماضي في صور مختلفة، منها تعبيره به عارياً من قد ما يدفع به رأي البصريين من النحاة، وقد تنوّع الجار والمجرور والظرف الواقعان حالاً في القرآن الكريم بما يتناسب مع السياق، ويتآلف مع مكونات الجملة في الأسلوب القرآني؛ مما يكشف عن دقة الاستعمال القرآني، وقد اعتور الجار والمجرور والظرف أوجه إعرابية أخرى مع القول بالحالية، وكل هذه الأوجه كاشفة عن وظيفته-الجار والمجرور والظرف-في البناء القرآني بصور مختلفة منسجمة مع المعنى، متآلفة مع ما كُوّنت به الجملة القرآنية، وقد تعددت الحال لمفرد في الأسلوب القرآني، وقد اختلف النحاة حول هذه القضية؛ مما نشأ عنه كثرة المصطلحات دون الكشف عن سر ذلك التعدد، أو بيان الحاجة الداعية إليه، فمن يرى أن الحال تتعدد قال عن الثانية أو الثالثة إنها مترادفة، ومن قال بعدم التعدد رأى أنها متداخلة، وقد احتوى الأسلوب القرآني أحولاً محذوفة قدرها النحاة والمعربون للقرآن الكريم، وذلك أمر يستقيم مع البناء القرآني، لأن هذا المحذوف قد أوحى به السياق ودلت عليه القرائن فذكره لا حاجة داعية إليه، وقد تبين من تتبع صاحب الحال في القرآن الكريم أنه قد جاء معرفة ونكرة بمسوغ، ومن النادر أن يأتي نكرة بدون مسوغ، وذلك أمر قرره النحويون في قواعدهم، وقد ظهر للباحث من خلال دراسة عامل الحال في الأسلوب القرآني أن الحال ترتبط بهذا العامل ارتباطاً يجعل من غير المستحسن أن يقف القارئ عند تلاوة القرآن الكريم قبل ذكر هذه الحال المرتبطة بعاملها المتعانقة معه[1]. مما يُوجب معرفة ذلك ليُتلى القرآن الكريم على أحسن وجه، والحال قد تتقدم على عاملها، وفي هذا التقدم خاصية للحال تبينه من التمييز، كما أن فيه تمييزاً لها-الحال- عن الصفة، فالصفة لا تتقدم على عاملها، والتمييز لا يتقدم على عامله على الصحيح.

4.2. أساليب التّوكيد في القرآن الكريم، للباحث عبد الرحمن المطردي:

هي دراسة عميقة يرمي من خلالها الباحث إلى الكشف عن أهمية دراسة النحو في ظل الأسلوب القرآني، وإلى بيان مدى شيوع ظاهرة التوكيد في القرآن الكريم، وإلى إيضاح المؤكدات التي آثرها، وأنماطها، ومعانيها، ومواطن استخدامها، والمؤكدات التي هجرها، وصولاً إلى تبيان المسلك القرآني في كل ذلك، وقد نهض هذا البحث على (5188) شاهداً قرآنياً اشتملت على أساليب التوكيد في القرآن الكريم، ومن أهم القضايا التي كشف الباحث النقاب عنها بعمق في هذه الدراسة:

(1(عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد: الحال في الأسلوب القرآني، ص: 457 وما بعدها.

- تأكيد الجملة الفعلية في القرآن الكريم بالحروف التالية:
- نون التوكيد الثقيلة والخفيفة.
- السين وسوف.
- لن.
- لام الجحود.
- قد.
- اللام الداخلة على جواب لو ولولا.
- تأكيد الجملة الاسمية في القرآن الكريم بما يلي:
- إنَّ وأنَّ المشددتين.
- إن وأن المخففتين.
- لام الابتداء.
- القسم.
- لكن.
- كأنّ.
- أمّا مفتوحة الهمزة مشددة الميم.
- ألا بفتح الهمزة والتخفيف.
- الحال المؤكدة لمضمون الجملة الاسمية.

كما تطرق الباحث إلى قضايا متعددة تتصل بالتأكيد المعنوي، والتوكيد اللفظي، والمصدر المؤكد لعامله وغيرها، وقد بيّن الباحث(عبد الرحمن المطردي) في خاتمة البحث أهم النتائج التي توصل إليها في دراسته[1]، ومن بينها أن أكثر أساليب التوكيد شيوعاً في القرآن الكريم هي التي جاءت لتوكيد الجملة الاسمية؛ فقد ورد توكيدها في(2964) موضعاً، يلي ذلك الأساليب التي استعملها لتوكيد بعض الجمل، فقد جاءت في(1184) موضعاً، ثم ورد توكيد الجملة الفعلية في(1040) موضعاً، وقد أظهر البحث أن الفعل المضارع الواقع في جواب القسم بعد فعل الشرط المغنى عن جوابه أكثر مما يجيء معه فعل الشرط ماضياً، كما أظهر أنه عندما جاء فعل الشرط مضارعاً، كانت الآيات كلها مقرنة بلم، فقلبت معانيها إلى الماضي، وكان أكثرها يشير إلى توبيخ وتهديد، ولم يأت في القرآن الكريم فعل مضارع منفي مؤكد بنون التوكيد إلاّ فعل واحد في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾-الآية: 25 من سورة الأنفال-، وقد اختلف فيها النحاة والمفسرون اختلافاً كبيراً، وقد وضح البحث أن القرآن الكريم

(1(عبد الرحمن المطردي: أساليب التوكيد في القرآن الكريم، ص: 399.

استعمل السين لتأكيد الوعد والوعيد وهو الأكثر، كما استعملها لتأكيد الإخبار بالغيب، والترغيب والترهيب، ولتأكيد الهداية، ولتأكيد القطع الشامل بالمغفرة، واستعمل أيضاً سوف للتوكيد، وبيّن انفراد سوف عن السين بدخول اللام عليها، وبأنها لا تأتي إلاّ لتوكيد الوعد أو الوعيد فقط، وقد بيّن البحث دلالات لن على توكيد نفي المُستقبل، كما بيّن الفرق بين لا ولن في الدلالة على التوكيد والمستقبلية، ووضح البحث أن لام الجحود تفيد تأكيد نفي الفعل، والآيات التي وردت فيها لام الجحود مبثوثة في كتاب الله، وقد بيّن البحث أن قد تفيد تأكيد الجملة الفعلية في القرآن الكريم، وقد يكون مع التوكيد تقليل أو تقريب، وقد استخدم القرآن الكريم قد في صورها المتعددة وهي فقد، وقد، ولقد، وظهر من استخدامه أن أكثر مواقع فقد كان في جواب شرط ظاهر أو مقدر، وأن مجيء وقد فيه كان أكثره في صدر الجملة الحالية، وأن ورود لقد فيه تفيد الجملة الفعلية تأكيداً أقوى لوجود اللام فيه، ومما كشف عنه هذا البحث أن لو لم تكن حرف امتناع لامتناع كما اشتهر على ألسنة المعربين، وإنما هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وأنها تفيد التوكيد، وأن من السمات التي رسمها الأسلوب القرآني لجواب لو ولولا الحذف أحياناً؛ لأنه يكون أبلغ من الذكر في الاستعمال القرآني لحكمة بالغة حتى تذهب في تقديره كل مذهب، وبعد تتبع الباحث(عبد الرحمن المطردي) لآيات القرآن الكريم وجد أن لام الابتداء الواقعة بعد إن المكسورة دخلت على خبر إنّ وعلى اسمها، وعلى ضمير الفصل ولم تدخل على معمول خبر إنّ، وباستقراء آيات الله البينات، وجد الباحث أن القسم الوارد فيها غالباً ما يكون بالواو، وأنه لا يكون إلا من الله تعالى في الأعم الأغلب، فيُقسم الله عز وجل بما شاء على ما شاء، كما وجد أن القسم بالتاء لم يرد في كتاب الله إلا مع لفظ الجلالة، وبالبحث في الأسلوب القرآني عن الجملة الاسمية تبين أنه استعمل لكن للاستدراك والتأكيد، واستخدام كأن للتشبيه والتأكيد، وتبين أنه استعمل ألا الاستفتاحية لتأكيد الجملة الاسمية وأيضاً الفعلية، وقد جاء في القرآن الكريم أسلوب للتأكيد ليس له نظير في العربية؛ لأنه جمع بين علامتي خطاب، وهما التاء والكاف، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾-الآية: 40 من سورة الأنعام-، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾-الآية: 47 من سورة الأنعام-، كما وضح الباحث أن لفظ جميعاً منوناً قد أتى حالاً مؤكدة صاحبها في مقامات متنوعة كلها تقتضي التأكيد، إما لإبراز نعم الله علينا، أو لإظهار قدرته، وقد استخدم القرآن الكريم ضمير الفصل لتأكيد بعض الجملة، إلا أنه لم يستعمل كل ضمائر الفصل للتأكيد، وإنما استخدم بعضها، وهي: هو، هي، هم، أنا، نحن، أنت، وترك استعمال بقية الضمائر للتأكيد، وهي: هن، هما، أنتم، أنتن، أنتما، وقد بيّن الباحث فائدة الحروف الزائدة في التأكيد، وردَّ على الذين يُنكرون وجودها في القرآن الكريم، فإنه لا يجوز خلوها من الفوائد، وإلا عدت عبثاً، ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولاسيما في كلام الله عز وجل.

3. خاتمة

إن دراسة مختلق القضايا المتصلة بالقرآن الكريم من الجوانب الأسلوبية والموضوعية، لهي دراسة شائقة حقاً، وما زالت تستحق الدراسات تلو الدراسات، وتبدو أهمية هذا الموضوع من جوانب شتى؛ فالقرآن الكريم كتاب يشبه بعضه بعضاً في قوة نسجه وعمق تأثيره وإحكام بلاغته، وهو مثان، فيه من المعاني التي تُثنى في مواضع مختلفة، ومناسبات عديدة، فيكون لهذا التكرار أثره في الهداية والإرشاد، وهو بتشابهه وتكراره، يؤثر في النفس أكبر الأثر؛ حتى لتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، وتنفعل له قلوبهم...فحروف القرآن الكريم هي حروف العرب نفسها، لكن هذه الحروف حينما دخلت في كلمة منه كانت كاللآلئ، وحينما سلكت في نظمه تحولت إلى جواهر، فهو ينتقي أصواتها، ويتخير حروفها صافية الذوق في مخارجها، لذيذة السماع على مستقبلها، طيبة المجرى على اللسان، معتدلة في الوزن، نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع، قوية الإيحاء، شديدة البعث لما تتضمنه من المعاني المرادة والأهداف المقصودة، وهذا من جهة حروف المعجم. أما من جهة حروف المعاني، فقد استعملها القرآن على قدر الضرورة، ووفق الحاجة، فلم يزد فيها زيادة ترهق السامع، أو تشعره بالملل، أو تحس فيها بالغثاثة والثقل، كذلك لم يقلل منها بحيث يفتقر السامع إلى طلب المزيد منها أو الحاجة إليها، وكان كل حرف في موضعه بحيث لا يُستغنى عنه، أو يُستبدل به غيره[1].

وقد دأب العديد من العلماء العرب على مدارسة القرآن العظيم من شتى الجوانب، وقد ركزوا في دراساتهم على قضايا مهمة جداً، وهناك من ركز على الأمثال في القرآن الكريم؛ حيث تحتل الأمثال مكانة عظيمة، وتكتسي أهمية كبيرة في القرآن الكريم، وقد تجلت أهميتها من خلال الإكثار من سردها في كتاب الله العزيز؛ إذ بلغت أكثر من أربعين مثلاً، كما أن هناك كثافة في الآيات التي تُشيد بتلك الأمثال، وتُبيّن مكانتها، وفضلها، ولا يختلف اثنان في أن معرفة الأمثال في القرآن الكريم وتدبّرها، واستخلاص العظة والعبرة منها، يعد من أبرز العلوم وأهمها وأرقاها، وهذا ما نبه إليه عدد غير قليل من العلماء، ومن بينهم(الماوردي)؛ الذي نبّه إلى أن من أعظم علوم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لانشغالهم بالأمثال، وإغفال الممثلات، وقد أكد الإمام(الشافعي) على أنه من ضمن مما يجب على المجتهد معرفته في علوم القرآن، ولاشك في أن الأغراض من ضرب الأمثال في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة، ولها وقع شديد مغاير لما يؤثر به الكلام الإنشائي والإخباري؛ فلذلك كثرت وتعددت الأمثال في القرآن الكريم، وقد ورد التنبيه في القرآن إلى ضرورة العناية بها وتدبرها؛ نظراً لما تحمله في طياتها من حكم ودلالات غزيرة؛ فضلاً عن أسلوبها المشوق، وجزالة عباراتها، ومن أهم الأغراض من ضرب الأمثال في القرآن الكريم: زيادة الإفهام، والتذكير، وتصوير المعاني، وتقريب الصورة إلى ذهن المخاطب، كما أنها طريقة من أبرز طرائق الإقناع، وتعليم البيان، وشحذ ذهن المخاطب، وإيقاظ فكره، ولفت نظره إلى المراد، مع التأثير في قلبه،

(1(عبد الفتاح لاشين: من أسرار التعبير في القرآن حُروف القرآن، ص: 01-02.

وتثبيت المعاني في الذكر، إضافة إلى الوعظ، والتذكير، والترغيب، والترهيب، والمدح، أو الذم، والتعظيم، أو التحقير[1].

والحقيقة أن كل لغة من اللغات في العالم لها من الإمكانات ما لنظيراتها، وكل لغة ذات قابلية لسانية آلياً لأداء ما يريد بها قومها من وظائف دنيوية ودينية وإبداعية وجمالية، فكما يرى الباحث (عبد الجليل مرتاض)، ولئن وُجِدَت لغة غائبة عن ساحة العمل؛ فالأمر من قبل ومن بعد لا يتصل بها بوصفها لغة إنسانية بتاتاً، بقدر ما يتصل بانعدام الثقافة أو المعرفة التكنولوجية والاقتصادية التي تتوفر في لغة أو لغات نظيرة لها، ليس أقل من ذلك ولا أكثر، والحقيقة أنه مثلما أعز الله كتابه بالعرب وغير العرب، فكذلك سيعز الله لغة كتابه، دون تقليل من سائر الألسنة التي يُعَدّ اختلافها آية من آيات الله، نعم، اللغة العربية تمثّل الاستثناء بالنسبة إلى نظيراتها، لأن ما ورد في كتاب الله (القرآن) من بيان للأركان، ودعوة إلى الله، وعلاقات إنسانية وأخلاقية واجتماعية، وتفاصيل لتنظيمات مالية وتجارية وزراعية وصناعية وقضائية وسياسية، وعلمية وفنية، وقصصية وتاريخية، ... والتعبير بهذه اللغة عما يُرى وعمّا لا يُرى، والوصف بها لحياة سرمدية يستعجلها مؤمنون، ويستبطئها مترددون، وينكرها كافرون، ... كل ذلك وغيره مما يُعجز عن إحصائه عقول إلكترونية، لئن لم يجعل اللغة العربية تنماز لسانياً بوصفها لا تحيد عن مقاييس أية لغة إنسانيّة، فإنها على استعداد للاضطلاع برسالتها الوظيفية الدنيوية إلى جانب اضطلاعها بوظيفتها الروحية، إننا لا نطلق أحكاماً قيمية وجدانية إزاء العربية، وهي في غنى عنها تماماً، ولكنها الحقيقة اللسانية التي تنقشع من خلال بنياتها الداخلية التي لا يختلف لساني ضليع بأن لها هوية حصرية لا يمكن لبنيات لسانية في لغة أو لغات غيرها أن تنِمَّ عنها، فلغاتنا الإنسانية أشبه بالبشر، فهم متشابهون خِلْقة وغريزة، ومتقاربون طبعاً، ولكن بصماتهم التي تعد بالملايير غير متجانسة بين اثنين منهم "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ " (غافر: **69**)، أي هل يجدون آيات بيّنات تتعارض أو تتناقض مع آيات الله؟ "مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ " (الكهف: **51**).

يجب ألاَّ يغيب عن أذهاننا أمر ربط آخر رسالة سماوية للناس قاطبة بمبلِّغها " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ " (إبراهيم: 4).. " لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ " (النحل: 103).. " لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ " (الشعراء: 194-195).. "وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا " (الأحقاف: 12).. " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (الدّخان: 58).

إلى هنا الأمور عادية، لو بعث صيني رسولاً لبعث باللغة الصينية، لا أحد يحاجّ نظيره في هذا، لأنها أولاً إرادة الله، ولأنها ثانياً طبيعة المنذرين الذين عادة ما يكونون في بداية أي رسالة سماوية من الأقربين، ولذا لم تكن النبوة المحمدية بادئ ذي بَدْءٍ إلا على هدى من تقدمها من الأنبياء والرسل " قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا

(1(فؤاد أحمد زمرلي: مقدمة كتاب: الأمثال في القرآن الكريم لابن قيّم الجوزية، ص: 46 وما بعدها.

مِّنْ الرُّسُلِ" (الأحقاف: 9). أي رغم كون نبوة سيدنا محمد (ص) نبوة شاملة وناسخة ما سبقها من أديان لتكون رسالة عالمية لا محلية " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" (الفرقان: 1)، فإنها وُجِّهَت بإنذار الرسول (ص) عشيرته الأكثر قرباً منه " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" (الشعراء: 214).. " وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا " (الأنعام: 92).. " لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ" (الشورى: 7). ولذا كانت هذه الآيات مكية أي في بداية الدعوة إلى التوحيد والإقلاع عن الشرك بالله، بما في ذلك سورة الفرقان التي بشّرت سيدنا محمد (ص) بعالمية رسالته التي لن تكون هيّنة كما أخبرته بذلك سورة المزمل بثقلها " إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً" (المزمل: 5).

وهل كان ذلك المبلّغ لرسالة ربه إلا عربيّا؟ وهل كانت تلك اللغة التي نزلت بها تلك الرسالة السماوية إلا عربية؟ نحن لا ندَّعي اليوم ولا غداً أن اعتناق الإسلام منوط بتعلم لغته الأصل سلفاً، وإلا كان عدد المسلمين ممن لا يعرفون هذه اللغة أضعافاً مضاعفة للمسلمين الذين يعرفون بنسب متفاوتة اللغة القرآنية، كما أن تيسير القرآن لا يكون إلا بلسانه العربي، مصداقا لقوله تعالى: " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا" (مريم: 97).. " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (الدخان: 58). غير أن الله الذي أراد لنا اليسر لا العسر، ذكر في غير موضع من كتابه العزيز أنه يَسَّر لنا القرآن للذكر: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" (القمر: 17).. "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" (القمر: 22).. "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" (القمر: 32).. "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" (القمر: 40).

وردت الآيات الأربع السابقة كلها في سورة واحدة، وهي سورة القمر، ولم يَرِد مثيل لها في سائر القرآن. وكما ترى أن كل آية منها تنتهي باستفهام غرضه البلاغي التمنّي والتشويق وفيه حثّ على تدبّر القرآن الذي يَسَّره منزّله على عبده للذّكر، ويلاحظ من خلال الآيات المكية الأربع أن التيسير للقرآن تيسير دلالي عامّ، لأنه تيسير جاء مفتوحاً غير مقرون بأي لغة، ولكن آيات أخرى تفسّر هذه الآيات وتوضحها بأن التيسير تَمَّ عبر لغة مبعوثه المنزّل عليه، حتى لا يخطر ببال أحد أن فهم القرآن لا يحصل بغير لغة تنزيله، وهذه مشيئة الله "لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ" (الأنبياء: 23)، وهناك عامل تاريخي سبق للعربية أن عاشته في عقر جغرافيتها، أعني أنها مرت بتجربة محلية مع ضروب شتى من اللهجات العربية، ولكن شعراء التوحيد اللغوي كانت لهم يد طولى في بلورة لغة جامعة بين أشتات من القبائل العربية رغم شساعة بلاد العرب، ولما نزل القرآن لم يقص اللهجات إقصاء كلياً، ولكنه تعامل معها مثلما سبق للعرب أنفسهم أن دَسْتَرُوها، ومن سرّ القرآن أنه لم يعبّر باللسان بدلاً من اللغة عبثاً، ضمن جهة أن العرب لم يسبق لهم أن تداولوا مصطلح "لغة" إلاّ ما جاء في بيت شعري يتيم (كما ورد في طبقات الشعراء لابن سلام الجمحيّ)[1]. ومن جهة أخرى أن اللسانيات الحديثة فصلت بين اللسان واللغة والكلام، وتظل المعجزة القرآنية معجزة شاملة من شتى الجوانب، وفي كل مواطن الحياة، وضروب العلوم، واللُّغة والإبداع والفنون؛ ومن ثمّ فإن

(1(عبد الجليل مرتاض: بصائر أدبية لغوية جزائرية، كتاب مخطوط، ص: 107 ما بعدها

هذه الدراسات اللغوية الحديثة المسماة لسانيات، وجب وجوباً أن تخضع طوعاً أوكرهاً إلى هذه المعجزة الربانية الشاملة[1]، ولاسيما في ظل تعريفها الجديد منذ زهاء قرن بأنها الدراسة العلميّة للغة.

4. قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم، محمّد إسماعيل، (دون تاريخ)، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لبنان، منشورات دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- أديوان، محمد، (2006م)، مفهوم الحوار في الإسلام. مقاربة ثقافية استراتيجية.، المغرب الأقصى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- الأزهري، أبو منصور، (1967م)، تهذيب اللغة، مصر، منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- التونجي، محمد، (1993م)، المعجم المفصل في الأدب، لبنان، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجوزية، ابن قيّم، (2013م)، الأمثال في القرآن الكريم، لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.
- زقلام، بشير محمد، (1986م)، الظروف الزمانية في القرآن الكريم، ليبيا، منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (2006م)، أساسُ البلاغة، لبنان، منشورات دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- صليبا، جميل، (1973م)، المعجم الفلسفي، لبنان، منشورات دار الكتاب اللبناني.
- عبد الستار عبد اللطيف، أحمد سعيد (1984م)، الحال في الأسلوب القرآني، ليبيا، منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
- لاشين، عبد الفتاح (1983م)، من أسرار التعبير في القرآن الكريم حُروف القرآن، المملكة العربية السعودية، منشورات شركة مكتبة عكاظ للطباعة والنشر والتوزيع.
- اللبدي، عبد الرؤوف سعيد عبد الغني، (1992م)، همزة الاستفهام في القرآن الكريم، الأردن، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.
- مجدي وهبة وكامل المهندس، (1998م)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لبنان، منشورات مكتبة لبنان للطباعة والنشر والتوزيع.
- مرتاض، عبد الجليل، (2013م)، علم اللسان الحديث في القرآن، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- مرتاض، عبد الجليل، (2025م)، بصائر أدبية لغوية جزائرية، الأردن، دار كنوز للطباعة والنشر والتوزيع.
- المطردي، عبد الرحمن، (1980م)، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، ليبيا، منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

(1) عبد الجليل مرتاض: علم اللسان الحديث في القرآن، ص: 5.

• ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (2000م)، لسان العرب، لبنان، منشورات دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع.

7. Bibliography List

- Abd al-Sattar' Abd al-Latif, A. S. (1984). Al-Hal in Qur'anic style. Tripoli, Libya: Al-Jamahiriya Publishing House for Distribution and Advertising.
- Adywan, M. (2006). The concept of dialogue in Islam: A strategic cultural approach. Rabat, Morocco: Faculty of Arts and Humanities Publications.
- Al-Azhari, A. M. (1967). Tahdhib al-Lughah [Refinement of language]. Cairo, Egypt: Egyptian House for Authorship and Translation.
- Al-Labadi, A. R. S. A. (1992). The interrogative hamzah in the Qur'an. Amman, Jordan: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs Publications.
- Al-Mutarridi, A. R. (1980). Methods of emphasis in the Qur'an. Tripoli, Libya: Al-Jamahiriya Publishing House for Distribution and Advertising.
- Az-Zamakhshari, A. Q. M. b. U. (2006). Asas al-Balaghah [The foundation of rhetoric]. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah. (2013). Parables in the Qur'an. Beirut, Lebanon: Dar Ibn Hazm.
- Ibn Manzur, J. al-D. A. (2000). Lisan al'-Arab [The tongue of the Arabs]. Beirut, Lebanon: Dar Sadir.
- Ibrahim, M. I. (n.d.). Dictionary of Qur'anic terms and figures. Beirut, Lebanon: Dar al-Fikr al'-Arabi.
- Lashin, A. F. (1983). Secrets of expression in the Qur'an: The letters of the Qur'an. Riyadh, Saudi Arabia: Okaẓ Library Publishing and Distribution.
- Mortad, A. J. (2013). Modern linguistics in the Qur'an. Algiers, Algeria: Houma Publishing.
- Mortad, A. J. (2025). Algerian linguistic literary insights. Amman, Jordan: Kunuz Publishing.
- Saliba, J. (1973). Philosophical dictionary. Beirut, Lebanon: Dar al-Kitab al-Lubnani.
- Tounji, M. (1993). Detailed dictionary of literature. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Wahba, M & ,.Al-Muhandis, K. (1998). Dictionary of Arabic terms in language and literature. Beirut, Lebanon: Lebanon Library.
- Zaklam, B. M. (1986). Temporal adverbs in the Qur'an. Tripoli, Libya: Al-Jamahiriya Publishing House for Distribution and Advertising.